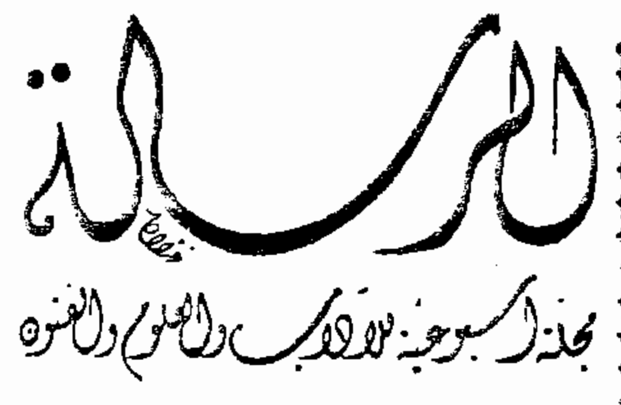
Lundi - 25 - 12 - 1939

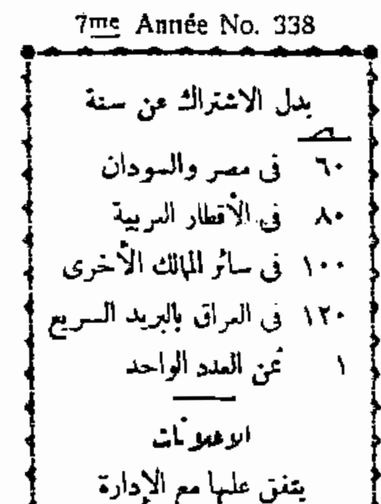
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

7me Année No. 338



العـــدد ٣٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

ذكرى مولد المسيح

وعلى الأرض السلام !

فى هذا اليوم يحتفل المسيحيون بذكرى مولد المسيح عيسى ابن مريم . وفى ليلة هذا العيد المجيد بات القسس والرهبان يرتلون وحدهم بين أروقة البِيَع وصحون الكنائس ذلك القُنوت الشمرى الجميل :

« المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وفى الناس المسرة ! » وربما تابعهم الأقوام فرتلوا وهللوا جرياً على التقليد وخضوعاً للعادة ؛ ولكنهم وا أسفا لا يجدون فى الآفاق ولا فى أنفسهم معنى هذا النشيد، ولا حقيقة هذا العيد !

فى أى جهة من جهات الأرض ذلك السلام ؟ وفى أى قلب من قلوب الناس تلك المسرة ؟ لقد عادت روح يهوذا الأسخريوطى فى جسدى هتلر وستالين فدلا على السلام الإلهى أبالسة الشر وزبانية الجحيم فصلبوه فى بولندة، ودفنوه فى فنلندة، ومكّنوا فى الأرض لعوامل القحط والموت، فأوتروا مائدة عيسى سمّاً وصاباً، وأنبتوا شجرة ميلاده همّاً وعذاباً، وحولوا أعشاش الأسر ورياض الحقول قبوراً موحشة على كل قبر منها ركام من الثلج وصليب من الخشب !

* * *

لكأنى بك يا روح الله كنت تمشى من الناصرة إلى بحيرة الجليل ، ومن صفد إلى كفر ناحوم ، وأنت ناكس الرأس ساهم الوجه ، يعتلج بين جوانحك الهم، ويجول فى مآقيك الدمع، لأنك كنت ترى بعين الله التى تخترق الأزل والأبد كيف تلازَم الشر والخير فى ملكوته ، فابتَلى آدم بإبليس ، وموسى بالسامرى ، وعيسى بيهوذا ، ومحمداً بأبى لهب ؛ وقضى ألا تخلو الأرض من أتباع هؤلاء وهؤلاء ، ليدوم صلاحها بمدافعة بعض لبعض ، حتى إذا طغت قوى الشر وسادت عناصره أرسل عليها طوفان نوح بالماء أو بالوباء أو بالدم أو بالنار فترعوى وتهمد

وكان الشر فى عهد المسيح وحشاً يتسعر فى عيون الروم ، ويتنمر فى نفوس اليهود ، فأخذ هو وحواريوه يكفكفون طغيانه بالمسالمة ، ويخففون عدوانه بالصفح ، ويسعفون ضحاياه بالمواساة ، ويشفون مرضاه بالدعاء ، ويحاربون أولياءه بالوعظ . ولكن الشر كان قد تفاقم واستطار فلم يرتدع باللين حتى جاء محمد رسول الله فزدّ جماحه بالسيف . وظلت محنة عيسى عليه السلام ألماً واخزاً فى ضمير الإنسانية لا يفتُر ، وأنيناً موجعاً فى أذن الدهر لا يخفت . وتوالت القرون وتعاقبت الدول وتتابعت الحضارات ، ولا يزال إبليس والسامرى ويهوذا وأبو لهب مُنْظَرين فى الأرض ، يدعون إلى الشر ويُرَغبون فى الرذيلة ويعملون للفساد ، والعالم المسكين يتدرع فى جهادهم بالدين والمدنية والتربية والعلم ، ولكن ذلك كله لا يغنى عنه إلا كما يغنى السد فى دفع الفيضان، أو الفرجة فى كف البركان ، أو الكوخ فى اتقاء العاصفة

* * *

يا راعى السلام وداعى المودة ، لقد ضل قطيعك كله وشرّد ! فاسأل الله أن يُطلع فى سماء أوربا القاتمة « نجم المجوس » فعسى أن يهتدى به إليك طاغية موسكو وجبار برلين . والله قادر على أن يحوّل فى يديهما القنبلة والطربيد واللغم إلى « ذهب ولبان ومر[1] »

يا حامل الآلام ورسول الرحمة ، كيف استحال حلمك وسلمك وهداك فى ألمانيَة لوثر وروسيَة تولستوى سمائم لحظ وزلازل دمار وطوفان هلك ؟! ألإنك لا تزال غريباً عن الترب فلم يصادف دينك هواه ، أم لأنك شرعت الألم تكفيراً عن الكفر بالله ؟

لشد ما تختلف المسيحية فى الغرب عنها فى الشرق ! إنها مع المسيح قد خرجت من الغسق إلى النور ، ولكنها مع بولس قد دخلت من الشفق إلى الظلام ! ومن سار فى ضحوة النهار اهتدى ودل ، ومن ضرب فى سُدفة الليل اعتسف وأضل

* * *

بأية حال عاد عيدك يا رسول السلام وحامل الآلام على بولندة وفنلندة ؟! هل قضى الآباء والأمهات ليلة البارحة مُشبِلين على بنيهم وبناتهم فوق الفرش الوثيرة حول المداخئ الواهجة وعيونهم تشرق بالغبطة وقلوبهم تفيض من السرور ، وهم يتناغون بأحاديث الحنان والحب تناغى البلابل الآمنة ، فى أعشاش الربيع الساكنة ؟ هل باتت الصغار الأبرار هذه الليلة فى مهودهم الحريرية يحلمون فى أحضان الكرى ببابام (نويل) وهو يضع لهم الألطاف واللعب والحلوى تحت أفنان الشجرة وفى نواحى المدفأة ؟

يا حسرتا عليهم ! لم يأتهم عيدك يا مبرئ المرضى ومحيي الموتى إلا وهم حطام وأشلاء . فلا الدار آهلة ولا الرزق موصول ولا الشمل جامع ! إن نار الأعداء تحرق البلاد فلا مأوى، وصقيع الشتاء يهرأ الأجساد ولا دفء ، وخوى الأمعاء يلحس الأكباد ولا قوت ، وبقايا القنابل والرصاص والنار من النساء والأطفال والشيوخ مشرّدون على الجليد يلتمسون الحياة الموقوتة فى قرية بعد قرية !

وليت الخراب والعذاب كانا مقصورين على أمة أو أمتين فتمدها الأمم الأخرى بالمواساة والعون ! ولكن الخطب شامل والطامة عامة . فالأمم المحاربة والمحايدة فى شقاء العيش وبلاء الموت على حد سواء. قضت عليهم هنا وهناك نزوات الفرد وبدواته أن يساقوا إلى الجزر سوق القطيع ؛ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ومن المنتظرين من يقتله الجوع والخوف ، قبل أن يقتله المدفع والسيف . والله وحده يعلم بأى حال ستعود ذكرى مولدك المقبلة على هذا الصدام ، أيقول الحى يومئذ : السلام على الأرض ، أم يقول : على الأرض السلام ! !

احمد حسن الزيات

(١) إشارة إلى الهدية التى قدمها مجوس الفرس إلى مريم وقد اهتدوا إلى بيت لحم بنجم بزغ فى السماء يوم ولد عيسى .

حول مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف

إلى الدكتور طه حسين بك

كلمة صريحة

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكر أن الصحف أخبرتني وأنا ماض إلى الأسكندرية لبعض الواجبات أن معالي وزير المعارف أصدر أمراً بندبك مراقباً للثقافة العامة ، فخفق قلبي خفقة الفرح لأمرين : الأول هو الاطمئنان إلى أن للحق دولة في هذه البلاد ، فقد كان قيل إنك انسحبت من عمادة كلية الآداب فراراً من المناوشات التي تعترضك من حين إلى حين . وكان قيل إنك طلبت إجازة طويلة تقضيها في جوّ هادئ ، وإن معالي النقراشي باشا لم يسمح بذلك ، وقد ظهر أنه كان يدخرك لهذا المنصب الرفيع ، فكان معنى هذا التلطف أن كفاحك في ميدان الحياة الأدبية يجعلك دائماً موضع الحظوة عند كبار الرجال .

ومن المؤكد أن في الناس من يعترض على اختيارك لهذا المنصب ، لأسباب لا تخفى عليك ، ولكني مغتبط بما صرت إليه ، لأنه شهادة بأن الكفاح له في مصر جزاء ، وأنت برغم حسادك من أقطاب المكافحين .

أما الأمر الثاني فهو الاطمئنان إلى أنك أصبحت معنا في وزارة المعارف ، وقد كان بيننا وبينك حجاب كثيف هو أشجار حديقة الاورمان بالجيزة الفيحاء ، فلن تملك بعد اليوم أن تُبرم وتَنقُض بلا رقيب ولا حسيب كما كنت تصنع في « القصر المسحور » : قصر كلية الآداب !

أصبحت معنا في وزارة المعارف ، وصار من السهل أن نتعقبك حين نشاء بدون أن نتجشم عُبور النيل فوق جسر فؤاد أو جسر إسماعيل أو جسر عباس .

فماذا أعددت لصحبتنا بوزارة المعارف ، أيها المراقب الحصيف ؟

أتكون جئت وفي يمينك كتابك « مستقبل الثقافة في مصر » ؟

إن كان ذلك فاعلم ، أيها الأستاذ الجليل ، أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً لعملك الجديد ، فقد ناشه الناقدون من كل جانب ولم يتركوا فيه أديماً صحيحاً !

وأنت قرأت مقالي في نقد كتابك ، وقرأت مقال الدكتور عبد السلام الكرداني بك ، فهل قرأت مقالات الأستاذ ساطع الحصري بك ، وقد نبهتك إليها منذ أكثر من شهرين ؟

أنت صرحت مرات كثيرة بأن العقلية المصرية عقلية يونانية ، وأن تلك العقلية تجب مراعاتها في التعليم والتثقيف ، أفتظن أن هذا الأساس لا يزال صالحاً لأن تقيم عليه عملك الجديد ؟

وأنت دعوت إلى تعلم اليونانية واللاتينية بحجة أنهما أصل للحضارة الأوربية ، فهل تظن أن تلك الدعوة لا يزال لها في مصر والشرق مكان ؟

أيها الأستاذ الجليل :

إنك لا تفرق بين ما يقال في حُجرات كلية الآداب لتثقيف عدد محدود من الطلاب ، وما يقال في وزارة المعارف لتثقيف السواد الأعظم الذي تدخره الأمة للنهوض بأعباء العصر الحديث .

وإليك بعض التفاصيل :

أنت سعيت سعيك لسيطرة الجامعة على السنة التوجيهية ، فهل تعرف كيف كانت العواقب ؟

أردت بعقليتك (الجامعية) أن تفرض على الطلبة دراسة كتاب « نقد النثر » لقُدامة بن جعفر ، فهل تظن أن نصوص ذلك الكتاب مما تسيغه عقول الطلبة في السنة الخامسة الثانوية ؟

كان يجب أن تشتغل بالتدريس في القسم الثانوي سنة أو سنتين قبل أن ترشح نفسك لوضع منهج الأدب بالمدارس الثانوية .

كان يجب أن تذكر مصير كتاب « المجمل » عليه رحمة الله ! وهو الكتاب الذي انتظم تاريخ الأدب من عصر امرئ القيس إلى عصر شوقي ، ومع ذلك كان من الحتم على طلبة السنة الثالثة أن يدرسوه في عام واحد !

ولكن لا بأس ، فقد أعانني الله على وأد ذلك الكتاب ومؤلفوه أحياء ينظرون !

وأنت سعيت سعيك إلى أن يكون منهج الأدب في السنة الخامسة خلاصةً لتاريخ الآداب اليونانية واللاتينية ، وأتعبت

نفسك فى تأليف مذكرات يستعين بها المدرسون على فهم ذلك المنهج الطريف !

فهل تستطيع أن تدلنى على أمة واحدة كان فيها منهج الأدب القومى خلاصة لآداب أمة أجنبية ؟

وهل جشمت نفسك مشقة الانتقال لحضور الامتحانات الشفوية بوزارة المعارف عساك تدرك إلى أى حد نجح اقتراحك الجديد ؟

إن وزارة المعارف سكتت عنك، لأنها كانت تعرف ما (ترجوه) منك ، فقد قلت فى كتابك : إن أكثر المراقبين لم يثقفوا ثقافة جامعية . وأنت فى الواقع خصمٌ مخيف ، فليس من المستغرب أن يسكت عنك المراقبون وهم كارهون !

فهل تنتظر أن يطول هذا السكوت ؟

هذا يوم له ما بعده ، يا سيدى الدكتور ، فقد تحدثك النفس بعد أسبوع أو أسبوعين بدعوة وزارة المعارف إلى فرض إحدى اللغات الميتة على بعض الأقسام بالمدارس الثانوية ، وقد تحدثك النفس بوجوب القول بأن عقلية مصر عقلية يونانية لا عربية ، وقد تحدثك النفس بأن الجهل بحياة البحترى لا يقاس إلى الجهل بحياة هوميروس !

هل تذكر خرافة « تيسير النحو » التى شغلت بها وزارة المعارف ؟

وهل تذكر أين صارت تلك الخرافة بين غيابات التاريخ ؟

وهل تذكر ما قوبلت به من السخرية فى الشام والعراق ؟

إن محاسنك هى عيوبك ، يا سيدى الدكتور ، فأنت تفرّ من السكون لأنه ينافى الحياة ، وأنت بالفعل من أقوى الأحياء ، ولكنك مع ذلك لا تحب الحياة فى الحقيقة كما تحبها فى الخيال ، وإلا فكيف جاز عندك أن تدرس الخطب القديمة فى وطن ديموستين قبل أن تدرس الخطب الحديثة فى وطن زغلول ؟ وكيف صح فى ذهنك أن تدرس مجادلات الأحزاب فى أثينا قبل أن تدرس مساولات الأحزاب فى القاهرة وبغداد ؟

أنا أرجو — وأنت مَن أعرفُ فى رحابة الصدر ورجاحة العقل — أن تثق بأنى لا أجامل وطنى ولا أصانع زمانى ، وإنما أنا معلّم يدرك أصول التعليم إلى أبعد الحدود ، وهى مهنة سأصل بها إن شاء الله إلى ذروة المجد ، فلا يعيينى أن أستطيل بها على من أشاء ؛ ومعرفتى بهذه المهنة تفرض علىّ أن أصارحك بأنك قد تسلك مسالك لا تخلو من وعورة والتواء

أنت تلوذ بالقديم فى كل وقت لتأمن سيطرة الناقدين ، ولكن القديم قد اندحر أمام الجديد ، فمن واجبك أن تفكر فيما تقدم عليه قبل أن يذكرك ناقدوك

فأين أنت من مشكلات العصر الحديث ؟

هل ترى أن يظل شبابنا على جهل بالتطورات التى تثور فى الممالك الأسيوية والأوربية والأمريكية ، اكتفاء بما تقترح أن نسلّمهم من أخبار اليونان والرومان ؟

وهل تظن أن العلم بمناوشات الأحزاب فى أثينا القديمة يغنى عن العلم باصطخاب المذاهب فى لندن وباريس وموسكو وبرلين لهذا العهد ؟

وهل ترى أن درس محاظرات هانيبال أنفع من درس دسائس ستالين ؟

وهل تظن أن النظر فى أسباب سقوط الأمبراطورية الرومانية أهم من النظر فى أسباب سقوط الخلافة الإسلامية ؟

وهل يخطر فى بالك أن درس تاريخ الآشوريين والبابليين أهم من درس العراق الحديث ؟

وهل تفهم أن درس الصلات بين مصر والشرق لعهد الفراعين أهم من درس الصلات بين مصر والشرق لهذا العهد ؟

التاريخ واجب الدرس ، ولكنه على كل حال تاريخ ، فكيف يغيب عنك أن من العيب ألا نعرف من مذاهب روسيا وألمانيا وإيطاليا غير ما تسوقه إلينا بعض الجرائد الأجنبية ؟

وهل تثق بأن تلاميذ المدارس عندنا يعرفون الفروق بين الاشتراكية والشيوعية ، مع أننا نعلّمهم الفروق بين مذهب أهل السنة ومذهب الاعتزال ؟

هل يعرف تلاميذنا ما النازية وما البلشفية وما الفاشيستية ؟

وهل يعرفون أصول العقائد التى تحترب فى الشرق لهذا العهد ؟

وهل فى مصر كتابٌ واحد يؤرخ الثورة المصرية التى شبت فى سنة ١٩١٩ ؟

وهل فى مدارسنا تلميذ واحد علّمه أساتذته كيف يقرأ أخبار الأسواق المالية فى الجرائد ؟

وهل تعرف مدرساً شرح لتلاميذه كيفية الاستفادة من الإذاعة اللاسلكية ؟

وهل عندك فى كلية الآداب مدرس يستطيع أن يُلقى محاضرة وافية عن الأفلام المصرية ؟

وهل تعرف أنت كُنه الاتجاهات الأدبية فى البلاد العربية لهذا العهد ، كما تعرف كُنه الاتجاهات الأدبية فى عصر بنى أمية وعصر بنى العباس ؟

وهل عندك فى مكتبة قسم اللغة العربية بكلية الآداب مجموعة من الجرائد والمجلات تصور عقول الكتاب والباحثين فى مختلف الأقطار العربية تشبه مجموعة الكتب القديمة التى اشتركتُ معك فى تكوينها سنة ١٩٢٥ ؟

وهل يعرف طلبة الفلسفة عندكم عدد المذاهب الصوفية بهذه البلاد ؟

وهل فكرتم فى تصحيح الأغلاط التى وقعت فيها بعثة بونابرت ؟

وهل أقمتم متحفاً لمخطوطات العلماء والشعراء والكتاب الذين حفروا الأساس لبناء العصر الحديث ؟

وهل عندكم نبأ مما صنع التجارى فى ترتيب « لسان العرب » ؟

وهل فكرت كلية الآداب فى البحث عن كتاب تيمور باشا فى اللهجات العامية ؟

يا سيدى الدكتور

اسمع كلمة الحق من رجل كان تلميذك ، وكان زميلك ، ولا يزال أصدق أصدقائك ، وهو يصارحك بأنك تجهل بلدك وعصرك بعض الجهل

لقد جاورتنا مدة فى مصر الجديدة ، فهل تعرف عدد المدارس فى مصر الجديدة ؟

فى مصر الجديدة أربع وثلاثون مدرسة لا تعرف منها وزارة المعارف غير آحاد !

أنت جئت إلينا فى وزارة المعارف ، ولم يبعُد بيننا وبينك حجاب من أشجار الأورمان ، فأعدّ عزيمتك لحرب ضروس تنقلك من حال إلى أحوال

أقول هذا وأنا أعرفُ الناس بفضلك وشهامتك ، فإن استرحتَ لبعض ما قدمتُ إليك فذلك بعض ما عهدتُ فيك ، وإن ضاق صدرك من بعض ما أسمعتُك فلك عذرٌ مقبول : فأنت من أهل هذا العصر ، وهم يتنكرون لكلمة الحق فى بعض الأحيان .

لا تنزعج ، يا سيدى الدكتور ، فليس هذا المقال إلا صدًى لهدير البحر بالإسكندرية ، ولن ألقاك فى وزارة المعارف إلا بلسان معسول يشبه ألسنة الفنيين بوزارة المعارف !

زكى مبارك

(الرسالة) يظهر أن الدكتور المبارك فهم من (الثقافة العامة) المرحلة الثانوية من السنة الأولى إلى الرابعة . والذى نعرفه أن (مراقبة الثقافة العامة) لا يتصل عملها بالمدارس والمناهج وإنما يتصل بشؤون الثقافة الشعبية فيما وراء ذلك

في مزارات الاسكندرية

للدكتور عبد الوهاب عزام

« بقية المنشور في العدد ٣٣٤ »

سرنا إلى جامع البوصيري وهو من أجل المساجد وأحبها إلى نفسي لا يمل زائره الجلوس فيه يقلب الطرف في جوانبه ويرى البردة منقوشة على أربعة جدرانه في إطار واحد، ويرى بين الحين والحين زرقة البحر والسماء فيطلق فكره من المعبد الصغير إلى المعبد الأكبر بين لجة الماء ولوح الجو

ذكرنا هناك المحدث الأديب الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة والهمزية القصيدتين المباركتين اللتين خلدتا صاحبهما وخلدتا في صفحات الدهر ونالتا من الحفظ والإنشاد والكتابة والنقش والتذهيب والتحلية ما لم ينله شعر آخر في الجاهلية والإسلام

وجلسنا في الإيوان المشرف على الصحن جلسة خفيفة أنشدنا فيها الشيخ الخالدي هذه الأبيات :

أما المحبة فهي بذل نفوس … فتنتمي يا مهجتي بالبوس

بذل المحب لمن أحب دموعه … وطوى حشاه على أحر رسيس

شرفاً لشاذلة ومرسية مرت … لهما الرياسة من أجل رئيس

ما إن نسبت إليهما شيخيهما … إلا جلوتهما جلاء عروس

وليست هذه الأبيات غريبة في مسجد البوصيري، وإن لم يذكرفيها، فهو تلميذ أبي العباس المرسي. وأبو العباس تلميذ الشاذلي

وأبو الحسن الشاذلي هو الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ الطريقة الشاذلية . كان عالماً واسع العلم وبلغ الدرجات العالية في التصوف وتوفي بصحراء عيذاب متوجهاً إلى مكة في ذي القعدة سنة ٦٥٦ ونسبته إلى شاذلة إحدى قرى تونس

وأردنا أن نزور قبر الشاطبي الذي ينسب إليه حي الشاطبي في رمل الاسكندرية فقيل لنا إن قبره قد اشتملت عليه العمارة الشامخة التي شادتها جمعية العروة الوثقى هناك

وهذا الشاطبي غير صاحب الشاطبية ، ولكنه من رجال القراءات كذلك ذكره السيوطي في حسن المحاضرة في عداد من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية . وقد كتب لي العلامة الشيخ الخالدي ترجمته من كتاب «الزهر المضي في مناقب الشاطبي» وهأنذا أثبتها هنا :

«أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة، جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والتخلي عن الناس ، والتمسك بطريقة السلف ، قرأ القرآن ببلده بالقراءات السبع على أبي عبد الله محمد ابن سعادة الشاطبي وغيره ، وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ ، وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصري وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفا ابن عبد الحق وغيرهم. وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبي عبد الله الرازي ، وصنف كتباً حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب، وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة، وتفسير القرآن العزيز ، وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية ، وكتاب الحرقة في إلباس الخرقة، وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الأربعين المضية في الأحاديث النبوية ، ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالأسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ، ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله »

ويوم الأربعاء التاسع والعشرين من رجب خرجت أنا والأستاذ الزيات لرؤية جامع الشيخ . وكنت واعدت الشيخ ابراهيم القادري شيخ التكية القادرية أن أمر به صباح هذا اليوم ووعد أن يكلف خازن مكتبة الجامع أن يكون هناك ليطلعنا على خزانة الكتب .

زرنا التكية وصحبنا الشيخ ابراهيم إلى الجامع ، وكنت أسمع بجامع الشيخ وأود أن أراه فلم تتح الفرصة قبل

الجامع مبني فوق سوق بها حوانيت كثيرة. دخلنا من الباب الخلفي فصعدنا درجاً وملنا ذات اليسار إلى مكتب لتعليم القرآن ، ثم صعدنا درجاً آخر إلى حجرات يسكنها طلاب العلم في ذلك الجامع . ثم هبطنا من حيث صعدنا فدخلنا إلى جامع واسع فيه مصلى كبير تحيط به ثلاثة أروقة كبيرة، رواقان مستطيلان عن جانبي القبلة ورواق إلى الشمال كبير يفضي إلى باب المسجد الأمامي وقد ألفيت المسجد أوسع وأجمل مما حسبت قبلاً

وسرنا في الرواق الذي إلى يسار القبلة إلى حجرة ، وتقدم شيخ وقور هو إمام المسجد ففتح الغلق عن باب يؤدي

إلى حجرة تفضي إلى حجرة أخرى فيها الكتب

سمعت من قبل أن هذه الخزانة أغلقت أربعين عاماً ثم فتحت وقد فعلت الأرضة فعلها بالكتب فأتلفت كثيراً منها . ورأيت بقية الأرضة والإهمال من هذه الكتب مكدسة في رفوفها لا يدرى ما فيها . ولعل فيها من نفائس الكتب ما نفتقده في دور الكتب فلا نجده، أو ما نحن في حاجة إليه شديدة لتصحيح ما لدينا من الكتب المخطوطة . ولست أدري على من تقع التبعة فيما أصاب هذه الأسفار من التلف وما هي فيه من ضياع . إن أسرة الشيخ ابراهيم باشا الذي أسس هذا المسجد أسرة عريقة في البر لها أياد على العلم والعلماء . وكانت دورهم مقصد رجال العلم من مصر وغيرها . وكان هذا الجامع معهداً في الاسكندرية قبل إنشاء المعهد الديني التابع للأزهر . فلماذا ترك الخلَف من هذه الأسرة سنن السلف وأهملوا آثار آبائهم ؟ وإن كان لوزارة الأوقاف إشراف على هذا الجامع فعليها تبعة عظيمة، وعليها أن تستولي على المسجد ومكتبته أو تلزم القائمين عليهما أن يحسنا القيام .

لعل كلمتي هذه لا تذهب سدى بين الأوقاف وأسرة الشيخ ابراهيم باشا .

تركنا الجامع إلى مكتبة الاسكندرية في دار موصيري . وهناك لقينا الأخ الأديب الشيخ بشير الشندي ، فأنسنا به وأفدنا من حديثه عن الكتب ، وعن آثار الاسكندرية . وقد أطلعنا على رحلة ابن رشيد التي ذكرتها في المقال السابق . وفي المكتبة منها الجزء الثالث وهو المتضمن وصف مصر . وهو منقول عن نسخة في الأسكوريال . وهذه الرحلة ذات جدوى كبيرة في تاريخ مصر ولا سيما الاسكندرية ، وهي جديرة بالعناية والنشر

وكان من حديث الأخ بشير أن قال : أسمعتم عن بئر مسعود ؟ قلنا : نعم هو على ساحل سيدي بشر . قال : لكن مسعود الذي أضيفت إليه البئر ؟ قلنا : لا ندري . قال : عندي حديث عنه لا تجدونه في الكتب. كان شيخنا الشيخ عبد الفتاح شريف والشيخ جاد الحق يذهبان إلى تلك الجهة للرياضة والدرس وكنت أذهب معهما ؛ وكان الشيخان ومن يصحبهما يجلسون على هذه البئر يتمتعون بمنظر البحر وهوائه . وكان فيمن يحضر هذا المجلس رجل ظريف موظف في الجمرك يسمى مسعود أفندي طراطيش فبدا لشيخنا أن يسمي البئر « بئر مسعود » فعرفت بهذا الاسم حتى اليوم قلت: هي فائدة لم يفكر فيها اللاهون حول البئر اليوم

رجعت إلى داري وأنا أتمنى أن تمكن الفرص من بعد لرؤية ما لم نر من مشاهد المدينة العظيمة

عبد الوهاب عزام

فنلندا بلاد التعاون

مواردها والحركة التعاونية فيها

للدكتور مأمون عبد السلام

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

تعمل الحكومة الفنلندية جهدها لترقية الزراعة فأنشأت مدارس للزراعة وفلاحة البساتين وتربية الماشية وصناعة الألبان وتربية الخيل والتدبير المنزلى، وأنشأت معهداً للبحوث الزراعية يتبعه محطات تجارب لتربية النباتات وصناعة الألبان وإصلاح أراضى المستنقعات . ومما يدل على اهتمام الفنلنديين بالزراعة أن كل مزارع منهم ينتمى إلى جمعية زراعية، وجميع الجمعيات الزراعية تساعدها الحكومة.

والفنلنديون مغرمون من قديم بشرب اللبن فتراهم يدعون الله فى صلواتهم أن يكثر ألبانهم. وهم مشغوفون بأكل الزبد فتحث الأم ابنتها على الإكثار من أكله وهى تنشدها قائلة :

كلى الزبد الطازج طول العام
كى يستدير جسمك
كلى لحم الخنزير طول العام
كي يزيد حسنك
كلى القشدة طول العام
كى يزيدك جمالاً

وكان الفنلنديون فى سنة ١٢٦٠ ميلادية يدفعون بعض الضرائب للحكومة أقراصاً من الزبد. وفى سنة ١٥٦٠ بلغ الزبد الذى صدرته فنلندا إلى دنزيج ولوبك والدانمارك وهولندا نصف مجموع صادراتها . أما الآن فعشرة فى المائة من الصادرات من الزبد والجبن، وقد بلغت الحركة التعاونية فى الألبان درجة لا تضارع فى أى قطر آخر. وخمسون فى المائة من أعمال الفلاح فى فنلندا محصورة الآن فى صناعة الألبان ومشتقاتها

وقد كانت الأبقار الفنلندية رديئة ضعيفة صغيرة قليلة اللبن تجوب المستنقعات وراء الغذاء، فعملت الحكومة على تحسينها فأوجدت عترات نقية جيدة وعلمت الزارعين ضرورة إنتاج الألبان الجيدة فأسست المعاهد والمدارس لتدريبهم على صناعة الألبان بالطرق الحديثة وأوجدت معياراً ثابتاً standard للجبن والزبد وصدرتها على هذا الأساس

ويوجد الآن فى ميناء هانكو مخزن ومعمل عظيم للزبد المعد للتصدير فيفرزونه من حيث الرائحة والطعم والجودة ولا يصرح بالتصدير إلا للزبد المتدرق الحائز للشروط، ويعاد غيره إلى داخلية البلاد للاستهلاك المحلى بسعر يتناسب مع رتبته . وبذلك أصبح الزبد الفنلندى يضارع زبد الدانمارك، والجبن الفنلندى لا يقل فى الجودة عن الهولندى والفرنسى، ويصدر ٩٠٪ من زبد فنلندا عن طريق الجمعية التعاونية المسماة فاليو



عند الرأس الشمالى، على ضفة المحيط المتجمد، حيث يجرى القتال الآن فى منطقة بتسامو
(من مجموعة الدكتور بشر فارس)

وتعتمد فنلندا فى ثروتها القومية على الزراعة وصيد الأسماك والتعدين، ففيها قليل من الذهب فى لابلندا والنيكل والفضة والنحاس، ويستخرج الحديد من المناجم ومن قاع البحيرات

وقد تقدمت الصناعة فى فنلندا فى السنوات الأخيرة مما يشهد لأبنائها بطول الباع واستحقاقهم للحياة، وإليك النسبة المئوية للفنلنديين من حيث حرفهم

٥٩٫٦ يشتغلون فى الزراعة
و ١٦٫٨ فى الصناعة والأعمال اليدوية
و ٤٫٣ فى التجارة
و ٣٫٨ فى أعمال النقل
و ١٥٫٥ فى صناعات أخرى

وقد ازدهرت فى فنلندا صناعة الأخشاب والورق والسليولوز ولب الخشب وخشب الأبلاكاش والبوبينات ويشتغل ٣٥٪ من الصناع فى الصناعات الخشبية. وقد أسس أول مصنع يشتغل

بقوة المياه من مائة سنة مضت. وفى سنة ١٨٦٠ استكشفت طريقة صناعة لب الخشب ، ومن ثم انتشرت مصانعه بفنلندا

ومساكن العمال بالمصانع على جانب عظيم من النظام والنظافة. ويشتغل العامل ثمانى ساعات فى اليوم ويعطى فى أول عام من التحاقه بالمصنع أجازة قدرها أسبوع ثم أسبوعان فى السنة الثانية وهكذا إلى الخامسة إذ تزاد إلى ثلاثة أسابيع. وفى سنته العاشرة تزاد إلى شهر فى العام

وقد كانت حالة العمال قبل ذلك سيئة فقد كانوا لتفككهم وفقرهم وتحكم أصحاب الأعمال فيهم يشتغلون ١٤ ساعة فى اليوم بأجور زهيدة، فتسربت إليهم التعاليم الحديثة الخاصة بحقوق العمال من ألمانيا ، فألفوا اتحادات العمال فى المدن ، وكانت فى أول أمرها غير سياسية ، إذ اشترك فيها أصحاب الأعمال والعمال ، ولكنها ما لبثت أن لبست ثوب الاشتراكية . وفى سنة ١٨٩٩ تأسس حزب العمال ونشر برنامجه الذى طالب فيه بالمساواة فى الحقوق وبجعل ساعات العمل ثمانيا فى اليوم وتحريم الخمور . ثم تكون الحزب الصناعى وهو دائماً متحد مع حزب الفلاحين

وتتجر فنلندا مع الروسيا ثم بريطانيا العظمى وألمانيا والدانمارك وفرنسا والسويد، وأهم وارداتها الغلال والدقيق والمعادن والآلات والمنسوجات. وأهم الصادرات الأخشاب. ومن مصنوعاتها الورق ولبه ، وبعض المنسوجات ، والمصنوعات المعدنية والجلود

وقد افتتح أول خط حديدى فى سنة ١٨٦٢ وأنشئ آخر يصل عاصمتها بعاصمة الروسيا (لنينجراد) فى سنة ١٨٧٠ . وفى فنلندا نظام بديع من الترع والقنالات أهمها القنال الذى يصل بحيرة سايما بخليج فنلندا، ويمكن بواسطته أن تتوغل البواخر من بحر البلطيق إلى ٢٧٠ ميلاً داخل فنلندا

ولفنلندا أسطول تجارى، ويمكن للمسافر السويدى أن يصل إليها فى بواخر تبرح ستوكهولم فى كل مساء عدا أيام الأحد فيصل إلى ميناء توركو الفنلندى وهو ميناء عظيم على أحدث نمط فيه مصانع للسجاير والخزف والمأكولات ، والمصنوعات الحديدية والمخازن الكبيرة المملوءة بالبضائع. ومعنى توركو باللغة الفنلندية (السوق) وقد كانت كذلك أيام وثنيتها فأنشئت مكانها هذه المدينة فى القرن الثالث عشر .

وفنلندا فى مقدمة أمم العالم من حيث بواخر التى تمخر فى الجليد وقد صنعت لأول مرة فى سنة ١٨٩٠ وهى تجرى على الجليد فتهشمه بثقلها وتشق لنفسها طريقاً فى الماء، وبذا يمكنها أن تمخر طول العام إلى ميناءى توركو وهانكو

ويؤمن الفنلنديون إيماناً صادقاً بنظام التعاون . فنظام فنلندا الاجتماعى مشبع بالجمعيات والمؤسسات التعاونية حتى لا ينازعها فيه أى قطر . فترى المزارع يبيع زبدا بواسطة الجمعية التعاونية لتصدير الزبد المسمى «فاليو» ويحصل على نقود من البنوك التعاونية ليوسع بها مصانع ألبانه ويبتاع آلاته الزراعية عن طريق الجمعية التعاونية الزراعية للبيع بالجملة المسماة هانكيجا. وتبتاع زوجته ما يلزم البيت من الشركة التعاونية المسماة إيلانتو ، ويكتب ابنه الصغير بمداد من صنع الجمعية التعاونية المسماة S. O. K. وتبيع ابنته الصغيرة ما تجمعه من الثمار البرية من النابات لجمعيات تعاونية خاصة لتصنع منها المربيات



الرنة — وتستعمل لجر العربة — تستريح على الثلج فى لابلندا

وقد أدخل نظام التعاون فى فنلندا فى منتصف القرن التاسع عشر ولكنه أصبح حقيقة واقعة فى سنة ١٨٩٩ وذلك بتأسيس جمعية بليرفو التى أخذت على عاتقها نشر الحركة التعاونية فنجحت فى ذلك نجاحاً كبيراً . وكان من أكبر أسباب ضعف التعاون فى فنلندا عدم ارتباط الجمعيات التعاونية بعضها ببعض . ولكنهم تغلبوا على ذلك فى سنة ١٩١٥ بإنشاء المؤسسات التعاونية المركزية الآتية :

١ — جمعية S. O. K. وهى جمعية عظيمة تشترى جميع المواد الغذائية والبضائع المختلفة لحساب المخازن التعاونية المحايدة. وتصنع جمعية S. O. K. الكبريت والفرش والملابس الداخلية والورق والطوب والدراجات والأخشاب، كما أنها تحفظ الفواكه وتحمص

البن . وقد شيدت بناء عظيما زودته بآلات تولد الكهرباء بقوة المياه للاضاءة والصناعة، وهى تستورد الآلات ولها من أجل ذلك مكاتب فى القارة الأوربية ولندن وأمريكا الشمالية والجنوبية



بين تيارات فنلندا وغاباتها

٢ — جمعية هانكيجا Hankkija وتشترى الآلات الزراعية والأسمدة والبذور والسيارات والزيت والأسمنت وكل ما يحتاج المزارعون وتبيعها للجمعيات التعاونية والمزارعين ، ولها محطات للتجارب ومشتل ومحطة لتنظيف الحبوب واختبار تقاوتها وآلة للطحن ومخازن لبيع الآلات

٣ — جمعية العمل وهى جمعية المزارعين التعاونية للجملة ، وتختلف عن السابقة فى تكوين عضويتها

٤ — جمعية بنوك التسليف الزراعى المركزى لتسليف البنوك الزراعية ، وهذه تسلف أعضاءها لتحسين زراعتهم أو أعمالهم الأخرى التى يعيشون منها

٥ — جمعية فاليو Valio لتصدير الزبد

٦ — الجمعية التعاونية الفنلندية لتجارة الماشية

٧ — جمعية ماتا للتصدير

٨ — جمعية انيغتين Enigheten لصناعة الألبان

٩ — الجمعية المركزية لأصحاب الغابات

١٠ — جمعية O. T. K. التعاونية للجملة وهى فرع من جمعية S. O. K. السابقة

ومما يلفت نظر زوار فنلندا وجود اسم أيلانتو فى كل مكان وهو اسم جمعية للبيع بالقطاعى أنشئت سنة ١٩٠٧ كمخبز . وهى لا تزال إلى الآن أكبر مخبز فى فنلندا، ولكنها توسعت فى اختصاصها فأصبحت تبيع مصنوعات الألبان والبقالة واللحوم والبيرة والعقاقير الطبية والملابس وإدارة المطاعم ويبلغ عدد أعضائها خمسين ألفاً

والفنلنديون أهل ذمة وأمانة ووفاء. فحكومتهم هى الوحيدة من جميع الحكومات المدينة للولايات المتحدة التى تسدد أقساط دينها بفائدته مما جعلها محط احترام الأمريكيين وحبهم . فالفنلنديون بطبيعتهم مقتصدون حسنو التدبير . وهم يكرهون المضاربات والمساهمة فى الشركات وكل أعمال البنوك اعتقاداً منهم أنها تخالف قواعد الأمانة وحسن الذمة، لذلك لا تجد فيهم أمثال كروجر وغيره من الدجالين النصابين من زعماء المال . وفنلندا هى الدولة الوحيدة التى أخفق كروجر فى الحصول على احتكار الكبريت فيها

وأنشىء بنك فنلندا فى سنة ١٨١١ فى هلسنكى وله فروع فى ١٣ مدينة أخرى ، ومديروه ينتخبهم البرلمان وينتخب مجلس الإدارة رئيس الجمهورية مباشرة

وأسست العملة الفنلندية فى سنة ١٨٦٠ وكانت تجرى على قاعدة الذهب من سنة ١٨٧٧ واحتفظت بها حتى أول يناير سنة ١٩٢٦ . أووحدة عملتها المارك الفنلندى المجزأ إلى مائة جزء يسمى بنيا وقيمته سنتيمان

وفى فنلندا تسعة بنوك للسندات وستة للرهنيات و ٤٨٢ بنكا للإيداع وبنك مركزى للتسليف و ١٣٤٢ بنكا تعاونياً للتسليف .

وتعتبر فنلندا من أرخص بلاد العالم، لأن أهلها لا يميلون إلى الكماليات إذ يعتقدون أن أحسن وسيلة للمعيشة هى اكتساب

القوت من العمل فى الحقل أو فى المصنع لا عن طريق اللصوصية المقنعة بالمضاربة وغيرها

ويعطى الفنلنديون كل عنايتهم لنشر التعليم، فخصصت حكومتهم ١٢ ٪ من ميزانيتها له ، وحتمت على كل طفل مهما نأى بلده أن يتعلم القراءة والكتابة ، فترى فى الدساكر والقرى والمدن المدارس الأولية الحرة ومدارس التعليم التعاونية والمدارس الصناعية والزراعية ومدارس التدبير المنزلى ، والدراسة فيها باللغتين الفنلندية والسويدية على أحدث النظم الألمانية

والتعليم عندهم ذو وجهة عملية يهيء الطالب ذكراً كان أو أنثى ليكون عضواً نافعاً لبلاده جسميًّا وعقلياً ، لذلك يتضمن التعليم التدريب الجسمى والفكرى

ويلتحق صغار الطلبة من سن ٧ إلى ١٣ أو ١٤ سنة بالمدارس الأولية الحرة التابعة للمجالس البلدية وبالمدارس التعاونية والمدارس التحضيرية . وتوجد كذلك مدارس أولية راقية للطلبة من سن ١٠ إلى ١٧ أو ١٨ سنة ، ومدة الدراسة ثمانى سنوات وتديرها الحكومة .

وبفنلندا ثلاث جامعات أنشئت فى سنة ١٦٤٠ وسنة ١٩١٧ وسنة ١٩٣٠ على التتابع، منها اثنتان فى مدينة توركو والثالثة فى هلسنكى ، وهى أكبرها وأعظمها استعداداً . والتدريس فى الجامعات باللغتين الفنلندية والسويدية وهما اللغتان الرسميتان بحسب نص الدستور . وعلى الطالب الفنلندى أن يتكلم لغة إضافية كالألمانية أو الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ليسهل عليه الاتصال بالعالم الخارجى . وكانت دراسة اللغة الروسية إجبارية فى الزمن السابق فأبطلت، وتدرس علاوة على ذلك اللغتان اليونانية القديمة واللاتينية . ونسبة الأمية فى فنلندا ٩ و ١٠ ٪ من الذين يزيد سنهم على ١٥ سنة

وتهتم فنلندا أعظم اهتمام بالرياضة البدنية . وقد اشتركت فى الألعاب الأولمبية الدولية وحاز مصارعوها السبق أربع سنوات متتالية على أمم العالم، كما أنهم تفوقوا فى كثير من الألعاب كالجرى البعيد . وقد رفع العلم الفنلندى فى سنة ١٩١٢ فوق بناء الألعاب الأولمبية الدولية بالرغم من احتجاج الروسيا . وفى سنة ١٩٢٠ دخلت فنلندا دورة أنفرس الدولية كدولة مستقلة وتبوأت مكانها كالثانية أى بعد الولايات المتحدة وأرسلت ٥٨ عضواً وقد احتفظت بمكانها فى سنة ١٩٢٤ فى دورة باريس فى جميع الألعاب التى اشتركت فيها. وسبقت فنلندا الأمم الأوربية فى منح النساء حريتهن واهتمام الفنلنديين بشؤون النساء يرجع إلى عهد بعيد فإن أقدم مستند فنلندى تاريخي يرجع إلى سنة ١٣١٦ كان خاصاً بحقوق النساء .

وتزاول الفنلنديات كافة الأعمال والحرف ، فمنهن المهندسات والمهاريات والبناءات ، وراصفات الطرق ، وسائقات السيارات وما إلى ذلك . وقد منحن حق التصويت فى الانتخاب من سنة ١٩٠٦ ، وأصبح لهن الحق فى أن ينتخبن لعضوية البرلمان فى سنة ١٩٠٧ . ونسبة النساء فى عمال المصانع ٣٠٪ كما أن ١٠٪ من مخازن الأدوية يملكها نسوة و ٨٠ ٪ من مستخدميها من النساء . وقد جاهدت الفنلنديات لمنع شرب الخمر وكان لهن الفضل فى إجبار الحكومة على مراقبة بيع المشروبات الروحية . وقد تسبب عن اشتغال النساء بالحرف متاعب زوجية عظيمة . والفنلنديات ماهرات فى فنون الطهى وتدبير المنزل



فى بحيرات فنلندا

وبرغم أن سبعة أثمان سكان فنلندا من الفنلنديين ، وبالرغم

من أنه لم يحرم عليهم التكلم بلغتهم فى عهد تحكم الدول الأجنبية فيهم ، فإن الأقلية التى تتكلم السويدية كانت تملك معظم الثروة وكل الإدارة والسلطة السياسية والمراكز الاجتماعية الهامة ، ولم توجد كتب باللغة الفنلندية قبل سنة ١٨٦٠ عدا الكتب الدينية. وقد ترجم ميخائيل أجريكولا (وهو تلميذ مارتين لوثر منشئ البروتستانتية كتاب العهد الجديد إلى اللغة الفنلندية فى سنة ١٥٤٨ وقد طبع أول قاموس لاتينى فنلندى فى سنة ١٨٢٦ ، وقد وضع لونروث فى سنة ١٨٣١ و سنة ١٨٣٥ قاموساً للغة الفنلندية وأصدر أول جريدة بهذه اللغة ولم يتكلم فى عهده أحد باللغة الفنلندية سوى ست أسر إذ كان الفنلنديون يفضلون التكلم باللغة السويدية

ولم تأت سنة ١٨٤١ حتى أصبحت اللغة الفنلندية تدرس بالمدارس الأولية ، واعترف دستور سنة ١٩١٩ بلغتين رسميتين وطنيتين : اللغة السائدة الفنلندية ولغة الأقلية السويدية

ويوجد الآن بفنلندا فئتان : الأولى فئة الفينومان الذين يرفضون التكلم بغير الفنلندية ، وفئة السفيكومان ولا يتكلمون غير السويدية قائلين إن اللغة الفنلندية ليست إلا رطانة الفلاحين. ولكن لادخل لهذا الخلاف فى تفانيهم فى حب بلادهم وأبناء وطنهم وفى سنة ١٩٠٦ غير ستة عشر ألف أسرة أسماءها السويدية بأسماء فنلندية مدفوعين إلى ذلك بعوامل وطنية أو سياسية، وقد رجع بعضهم إلى اسمه الأسرى القديم الذى غير مدة حكم السويد. فترى الآن أخوين يحملان اسمى أسرتين مختلفتين وأحدهما يتكلم السويدية والآخر الفنلندية

واللغة الفنلندية صعبة وهى تشبه لغة استونيا والمجر وهى خالية من أداة التعريف ومن الجنس وليس فى حروفها الأبجدية حروف b و c و f و q و w وكلماتها طويلة جداً مثال ذلك :

puunjalostusteollieuuden Keskuslütto

وحكومة فنلندا جمهورية دستورية على رأسها رئيس ينتخب كل ست سنوات وراتبه الشهرى مائتا جنيه . والقوة التشريعية فى يد برلمانها ا[illegible] ديات ، والقوة التنفيذية فى يد مجلس الوزراء المسئول أمام الديات ، وهو فى بناء من أجمل أبنية أوربا ، وعدد أعضائه مائتا عضو ينتمون إلى الأحزاب المختلفة كما يأتى :

حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ويمثله ٧٨ عضواً
والحزب الزراعى ويمثله ٥٣ عضواً
والحزب السويدى ويمثله ٢١ عضواً
وحزب الاتحاد ويمثله ١٨ عضواً
والحزب الوطنى الأهلى ويمثله ١٤ عضواً
وحزب التقدم ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب المزارعين الصغار ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب الشعب ويمثله اثنان

وأنشئ الجيش الفنلندى النظامى فى سنة ١٩٢٢، وسن الاقتراع ٢١ سنة ويمضى الفرد سنة فى سلاح المشاة وخمسة عشر شهراً فى سلاح آخر ويمكث فى الرديف سبع سنوات وفى الجيش المرابط ٢٤ سنة. ولفنلندا أسطول ولكنه ليس فى قوة جيشها وهو يحتوى على سفن للحراسة ومراكب للطوربيد وغواصات. والفنلنديون من أحسن البحارة فى العالم، لذلك استخدمتهم الروسيا فى أساطيلها الحربية والتجارية. وللفنلنديين سمعة عالية فى صيد الأسماك.

مأمون عبد السلام

حكم استئنافياً بتغريم بنيامين روفاييل البقال بشبرا بالقضية الاستئنافية رقم ١٨٥٤١ سنة ١٩٣٩ ٢٠٠ قرش صاغ بجلسة ٢٥ نوفمبر لبيعه زيت بأزيد من التسعيرة .

كاتب الجلسة
١٩٣٩/١٢/١٧ عبد العزيز حمدى

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

قرأت كلمة الأستاذ الكبير عباس العقاد بعدد الرسالة رقم ٣٣٥ التي عنوانها « مع أبي العلاء في سجنه » وفيها يتعقب الدكتور طه حسين بك في بعض ما ذكره في بحثه عن شيخ المعرة رهين المحبسين، إذ لا يرضى ما فهم من قول أبي العلاء في بعض فصوله: « بقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجارى دمعه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشي إلى الغرض على هامته ... » لا يرضى أن فيلسوف المعرة « قصد بهذا الفصل خاصة إلى رأى من أشد الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً ، وهو إنكار العلة الغائية وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها نحن ونزعم أن الأشياء خلقت لتحقيقها » . ويرى ـ أى الأستاذ العقاد ـ أن هــذا الرأى من الدكتور فيه شيء من الصواب ، ولكن « أصوب من هذا أن يقال إن رأى المعرى شبيه برأى المعاصرين الذين يقولون : إن الوظيفة تخلق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة » .

هذه الكلمة أثارت مني رغبة كامنة في متابعة الكتابة في الرسالة — تحت عنواني الذي اخترته العام الماضي ، وهو على هامش الفلسفة — لو إلى ذلك سبيل الآن ! ذلك أن البحث الذي أعني بإعداده هذا العام أو بالتحضير له عن ابن رشد ومكانته في الفلسفة الإسلامية يملك عليّ كل أمرى ويستأثر بكل وقتي أو لا يدع هــذه الرغبة تخرج من القوة للفعل ، إلى حين أرجو أن يقصر أمده إن شاء الله تعالى . إلا أن اتصال الموضوع الذي أثاره الأستاذان عن غير قصد بالدراسات التي أحبس نفسي عليها هذه الأيام ، جعل من الواجب أن أكتب كلمة قصيرة أبين فيها أن التوفيق أخطأهما كليهما فلم يصيبا المحز. وإلى القارئ البيان:

تشير كلمة أبي العلاء — فيما أرى إن كان قالها جادًّا — إلى مسألة الأسباب والمسببات التي ثار حولها الخلاف الشديد بين الغزالي وبين الفارابي وابن سينا في تهافت الفلاسفة . ثم أثارها بعده ابن رشد في تهافت التهافت الذي كتبه دفاعاً عن الفلسفة والفلاسفة ضد ما وجهه الغزالي من هجمات نالت من الجميع نيلاً كبيراً ، ولا تزال الفلسفة متأثرة بها حتى هــذا العصر الذي نعيش فيه

يرى الغزالي ، ممثل المتكلمين في عصره ، أنه كان من الممكن أن يكون العالم على غير ما نشاهد الآن ، وأن ما نظنه سبباً للإبصار أو الكلام أو الموت أو الحياة أو ما نعتقده أداة لشيء من هذا ونحوه ليس كذلك في نفسه ، بل لأن الله قدره هكذا أزلاً . وفي ذلك يقول : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ... فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر . مثل الري والشرب ، والشبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء ... وإن اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقهما على التساوق لا لكونه ضرورياً في نفسه . بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا إلى جميع المقترنات، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته[1] »

إذاً فعند الغزالي أنه يمكن أن يجعل الله العين أداة وسبباً للشم لا للإبصار ، والأذن للشم لا للسمع ، وأن يخلق الشبع دون سببه وهو الأكل ، والري دون الشرب ، وهكذا إلى سائر الأمور التي نعتقدها أسباباً تتلوها حتما مسبباتها

أما ابن رشد — وقد جعل من نفسه مدافعاً عن الحكمة ، وهي كما يقول : صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة — فيرى أن لكل شيء سبباً لا يتخلف عنه ، ولكل عضو عملاً لا يعدوه ، وأن « العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الأسباب فقد رفع

(١) تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ الطبعة العلمية للأب بويج

العقل . وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ههنا أسباباً ومسببات ، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورفع له[1] » ثم يعود إلى تأييد نظريته هذه في موضع آخر فيقول : « ولو ارتفعت الضرورة عن كيات الأشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها كما تتوهم الأشعرية مع الخالق لارتفعت الحكمة في الصانع والمخلوقات . . . إلى أن يقول : وهذا كله إبطال للعقل والحكمة[2] »

على أنه لا يجب أن يتبادر للذهن أن ابن رشد ، الرجل الذي كان يرى اكتفاء الأسباب بنفسها في خلق مسبباتها . فمن الحق أن نقول إنه يقرر « أنها ليست مكتفية بأنفسها في هذا الفعل بل بفاعل من خارج فعله شرط في فعلها بل في وجودها فضلاً عن فعلها[1] »

أعتقد أن القارئ يرى معي بعد ما سقناه من كلام الغزالي وفيلسوف قرطبة ، أن الدكتور طه حسين بك لم يكن مصيباً فيما أكده من أن شيخ المعرة كان يرى بقولته التي أسلفنا إلى شيء من الفلسفة الأبيقورية ، وأن الأستاذ الكبير العقاد لم يكن موفقاً كذلك في التعقيب عليه ، وأن المعري لم يقصد بكلمته — إن كان سلك فيها مسلك الجد — إلا الإشارة لفلسفة المتكلمين الذين يدفعون التلازم بين الأسباب والمسببات على النحو الذي ذكرناه عن ممثلهم وزعيمهم في عصره حجة الإسلام الغزالي . وبالله التوفيق .

محمد يوسف موسى

(١) تهافت التهافت لابن رشد ص ٥٢٢ الطبعة العلمية للأب بوريج

(٢) المرجع نفسه ص ٩٣

(١) المرجع نفسه ص ٥٢٤

من وراء المنظار

حلاقو القاهرة . . . !

لا تفهم يا قارئى العزيز أنى أعقد لك فصلاً تاريخياً عن منظر من مناظر القاهرة العظيمة فى زمن ابن طولون أو فى زمن الحاكم بأمر الله أو فى زمن قلاوون عليهم رحمة الله، فإنى لا أكتب هنا إلا عما يقع عليه منظارى . . . وإنما أنا محدثك عن منظر من مناظر هذه العاصمة الكبيرة فى القرن العشرين بل وفى عام ١٩٣٩ الذى أوشك أن ينطوى على وجه التحديد

ولا تتوهم أنى فيما أصف لك أذهب بك إلى تلال زينهم أو إلى أعلى الدراسة أو إلى جوار المحمدى أو إلى ما وراء سيدى الحلّى ؛ فإنك قد تنكر على ما أقول لجهلك فيما أظن مظاهر العيش فى هاتيك البقاع ... على أنه قد لا يكون جهلك بها أكثر من جهلى

وإن لك فى أقرب شوارع المدينة غنية عن الذهاب إلى أطرافها فسر فى شارع ماسبيرو على ضفة النيل أو فى شارع شبرا حيث المدرسة التوفيقية أو فى شارع الملكة نازلى أو حول حديقة الأزبكية وانظر ماذا ترى

لاشك أنك رأيت هؤلاء الحلاقين الذين يتربسون على الأرض أو على الأسوار ويأخذون فى حلق رؤوس زبائنهم ولحاهم فى صورة تدعو إلى الاشمئزاز والأسف والضحك جميعاً

وقفت على مقربة من أحدهم ورأيته وقد شمر عن ساعديه وأمسك بالموسى ودعا إليه من زبائنه الجالسين حوله من جاء دوره . ومثل الرجل بين يديه وله لحية ما أحسبه أجرى الموسى عليها منذ مثل هذا اليوم من العام الماضى ؛ ووضع الحلاق كفه فى إناء بجواره فاغترف غرفة من الماء بيده ورشها على تلك الأشواك الكثيفة فى وجه صاحبنا وأجرى عليها قطعة من الصابون ، ثم شحذ الموسى على ذراعه بأن حكها بها عدة مرات فى سرعة عجيبة ولما استيقن من مضيها راح يقطع هاتيك الأشواك ، ثم يمسح ما تجمع منها على حافة سلاحه فى ظهر يسراه أو يأخذها على سبابته ويقذف بها فى الجو لا يبالى أين تقع ولا من يصيب رشاشها . . .

ونظرت إلى الحلاق وزبائنه أتبين ماذا كان يخالجهم شعور من المبالاة ، فلم أصب فى وجوههم إلا مثل ما يرى فى الحيوانات من عدم المبالاة فيما تأتيه من أعمالها جميعاً على أعين الناس ؛ وكأن هؤلاء الناس جلوس فى دكان لا تقتحمهم فيه الأعين !

وهممت أن أدور بمنظارى عن هذا المنظر الذى لست أدرى لم وقفت إليه تلك اللحظة ، وقد كنت أبداً أمر به مسرعاً ، وإنى لأضيق به أشد الضيق، وكأن الظروف أرادت أن تكيد لى أشد الكيد فلا تقلع عن العناد حتى فى مثل هذا الموقف التافه ؛ فهذا غريب مقبل ومعه سيدة وفى يده آلة تصوير ، وإنه ليضحك ملء شدقيه كأنما يقع من الحلاق وزبائنه على بغية طالما تمناها

وأعد الفرنجى آلته للتصوير ، ولشد ما غاظنى أن أرى الحلاق ومن حوله يضحكون ضحكة البلهاء كأنما يفرحهم أن يأخذ « الخواجة » صورهم ، وسمعت ذلك « الخواجه » يقول لصاحبته بالإنجليزية ما ترجمته : « أنظرى فسنحصل على صورة ظريفة لحلاق القاهرة »

ودنوت منهما فسلمت وتكلفت الابتسام أولاً ، ثم عبست وبالغت فى العبوس لأعبر عن احتجاجى ، وتكلمت فى لهجة استخذى لها ذلك الغريب ، وحار ماذا يقول ؛ وأشارت إليه صاحبته فطوى آلة التصوير؛ وكأنما أملى عليه إحساسه بالغربة أمام احتجاجى الشديد أن يتلطف فاعتذر ، ولكنه أعقب اعتذاره بقوله : « جميل منك أن تغضب لسمعة شعبك ولكن أجمل من ذلك أن تزيحوا عن الأعين ما يشوه هذه السمعة »

وجميل من الرجل قوله هذا لاشك عندى فى ذلك ؛ ولكن ما حيلتى وما أملك غير القرطاس والقلم ؟

ليس يهمنى من هذا المنظر وأشباهه ما عسى أن يقول عنا الأجانب من أجله فحسب ، وإنما أراه على ذلك شيئاً تتأذى به العيون وتشمئز منه النفوس . ولئن لم تقع عليه وعلى أمثاله أعين غير أعيننا ، ففيه مما يشعرنا بالضعة والمعجبة

« عين »

البغاء في أوربا

للمستر أبراهام فلكسنر

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدي

البوليس والبغاء

فضلاً عما ينشأ في المدن النسيجة من الصعوبة في تمييز الداعرات فهناك صعوبة أخرى مترتبة على الأولى : ذلك أنه حيث يكثر الداعرات المحترفات يكثر كذلك ما يسمونه بالدعارة السرية .

وقد كانت الدعارة السرية في العصور الوسطى على غير ما هي عليه الآن ، فإن سهولة التعرف على الداعرات في تلك العصور ، والنظرة التي كان ينظر بها إليهن ، كانتا سببين كافيتين لحصر بؤرهن . فكانت المومس الثائبة إن تركت حياة المواخير لا تجرؤ على السكنى في حي آخر ، بل كن يقمن في تلك الأحياء ؛ ولم يكن ثمت شك في أشخاصهن ولا في ماضيهن . وفي العصور الحاضرة فريق من الداعرات يحترفن ما يسمى بالدعارة السرية وهن مثل الداعرات في العصور الوسطى معروفات حق المعرفة لرجال البوليس ، بل هن رغم التسمي باسم « السرية » معروفات كذلك لكل عابر سبيل وذلك لافتضاح أمرهن . ولكن على الرغم من ذلك هناك فارق مهم بين أنواع من البغاء السري في العصور الحاضرة . فالنوع الأقل عدداً والأقل خطراً هو الفريق المعروف باحترافه للدعارة[1]

أما الكثرة من البغايا السريات ، فهن اللواتي لا يدل عليهن شيء من ثيابهن ولا مظهرهن ولا مسكنهن ، وهن يعشن بين سائر النساء بحيث يتعذر تمييزهن ، ولكنهن مع ذلك يزاولن البغاء السري بحالة مستمرة أو متقطعة

إن المومس المجاهرة أقل أهمية ؛ ودراسةُ حالتها أقل جدارة لدى من يحاول درس التطورات التي تحدث بالمدن الكبرى أثناء تقدمها من النواحي الصناعية وغيرها

ولقد بذل جهد ليس بالقليل في سبيل تعريف الدعارة تعريفاً دقيقاً ، لأن النظر إليها من وجوه مختلفة يسفر عن تعريفات مختلفة ، فالداعرة من وجهة النظر الإدارية لدى رجال البوليس هي التي ليس لديها وجه من وجوه الرزق غير ابتذال العرض ، وهذه هي التي توجب الإدارة تسجيل اسمها . فالأمر إذن لدى رجال البوليس يتعلق بالتسجيل . ولما كان موجبه هو الرزق فقد وجد الكثيرات من البغايا مهرباً منه لأن هذه الشبكة واسعة الخروق ، وأكثر البغايا حقاً يحترفن حرفة مكسبة . ففي ألمانيا نوع من الحانات[1] تعمل فيه أجيرات . وفي أماكن أخرى مغنيات وراقصات وذوات حرف مماثلة، وكلهن في الواقع بغايا يتخذن هذه الحرف ذرائع لاستجلاب الرجال ويحتمين بها في نفس الآن من واجب التسجيل على اعتبارهن محترفات . ومتى سقط عنهن التسجيل سقط كذلك عند البوليس وصفهن بالدعارة

ومما يدل على أن هذه الحرف التي لا تقوم أجورها بالأود أو التي إنما تنتحل ستاراً دون قوانين البوليس ، أن علاقة هؤلاء النسوة بحرفهن علاقة تكاد تكون اسمية من حيث المواظبة من جهة والأجر من جهة أخرى ، وقد قام مستشفى زيوريخ بإحصاء المريضات بأمراض تناسلية اللواتي عولجن فيه في عام واحد فكانت النتيجة[2] أن عدد المريضات ١١٧٧ منهن ٧ وتسعة أعشار في المائة من المومسات وستة وسبعة أعشار في المائة لا صناعة لهن وخمسة وثمانون في المائة وأربعة أعشار من ذوات الحرف . فمن الواضح إذن أن التعريف الإداري للبغاء إنما هو تعريف لا يتفق مع الواقع . ويرى الأب « دوشاتليه » في تعريف الدعارة « أنها هي الجرائم الخلقية التي يدفع عنها أجر وترتكب في أماكن أنشئت بمقتضى القانون ، ولا تعتبر المرأة فيها مخالفة إلا بأن يشهدها شاهد غير متهمها وغير رجال البوليس »

وهذا التعبير يخرج الدعارة السرية إخراجاً تاماً من التعريف فهو لا ينطبق عليها . وإنما يكفي لتحديد الغرض الضروري في نظر رجال البوليس

وعلى الخلاف من هذا التحديد الشديد الضيق أرى للأسباب

---

(١) قد يبدو من المتناقضات أن يوصفن بالسرية والمعرفة في آن واحد ولكن تأويل ذلك أن التعبير بكلمة محترفات في العصر الحاضر يعني من سجلت أسماؤهن في سجلات البوليس . أما المحترفات فعلا والمعروفات باحترافهن ، ولكنهن لم يسجلن أسماءهن في تلك السجلات، يعرفن باسم النساء السريات .

(١) هـذا النوع من الحانات اسمه « ميركنيب » وهو نوع منحط تجالس فيه الساقية عملاءها وتشرب معهم وفي أركانه ستائر معدة للتأجير

(٢) راجع كتاب مولر Zur Kenntnis der Prostitution in Zurich (1911)

وراجع كتاب De la Prostitution dan la Ville des Paris

التي سأسردها بعد قليل أن الدعارة تتميز باجتماع ثلاثة عناصر مختلفة . وهي (١) العوض (٢) التعدد (٣) فقدان العاطفة

وليس من الضروري أن يكون العوض نقداً ؛ فإن الهبات والهدايا والاصطحاب في مجال اللهو — كل ذلك وهو مما لا يحصل عليه إلا بالنقد يعتبر عوضاً

وليس كذلك من الضروري أن يكون شرط التعدد مانعاً من الاختيار ، فإن اتصاف المرأة بالدعارة لا ينفيه أنها تختار مَن تشاء وترفض حين تشاء

وأما شرط فقدان العاطفة فهو أوضح من الشرطين السابقين وعلى هذا الأساس تعتبر المرأة داعرة متى اتصلت اتصالاً جنسيًّا من أجل الأجر أو الهدايا برجال متعددين سواء كان هذا الاتصال عرضيًّا أو احترفته . وليس من الضروري بعد ذلك أن تكون مفضوحة السمعة ولا أن تكون قد اعتقلت ولا عديمة الكسب من حرفة ؛ فقد لا تكون المرأة سيئة السمعة ولا من صواحب السوابق ولا من الخاليات من العمل لكنها مع ذلك بغي

وعلى أساس هذا التعريف للدعارة يكون مداها قد اتسع وتكون ضرورة علاجها أمَسّ ؛ وهذا الذي أرجو أن أدل عليه

فالعوض وفقدان العاطفة وتعدد الرجال سواء قلوا أو كثروا ، كل ذلك في المدن المصرية لا يميز العلاقة الجنسية للبغي المحترفة وحدها . بل هذه الصفات للداعرة السرية أيضاً ، بل إن أردنا التسمية بالاسم الصحيح فهذا التعريف يشمل أنواعاً كثيرة من الداعرات المحترفات اللواتي لا يعرف حقيقتهن إلا زميلاتهن في البيوت السرية كما يشمل المرأة العادية التي تخرج بين حين وآخر من هدأة الحياة إلى هذا النوع الشاذ منها ، ويشمل كذلك ذوات المراكز المصونة اللاتي قد يزاولن عرضاً هذه الرذيلة دون أن يمسسن ظاهر شرفهن . ويشمل كذلك المتسترات بحرفة من الحرف ، واللواتي تتخذ إحداهن خليلاً واحداً ربما تستطيع الاستبدال به من تراه خيراً منه ، واللواتي تخادن إحداهن أكثر من خليل واحد لعدم استطاعة فرد من هؤلاء الأخلاء القيام بأودهن ، واللواتي تخون إحداهن خليلها الوحد مع فرد أو أكثر طلباً للنفع . وأخيراً يشمل هذا التعريف النسوة المتزوجات ولسن جميعاً من الطبقة الدنيا بل فيهن من سائر الطبقات وكلهن في نظر العالم بريئات يترفعن عن مظنة الكسب من الزنا ولكنهن في الواقع يجبين من يصحبهن إلى أماكن اللهو

فهذه ثمانية أنواع تخرج عن التحديد الضيق الذي يقيد صفة الداعرة في نظر البوليس . ولكن هذه الأنواع جميعاً تدخل تحت عنوان الدعارة إذا ما تميز هذا العنوان (١) بالعوض (٢) وبالتعدد (٣) وبفقدان العاطفة . أي أن الدافع للصلة لم يكن وجدانياً بل هو نفعي . ولكن دون هذا كله سؤالاً لا بد منه وهو لماذا نعترض على البغاء على أي نوع من أنواعه ؟

والجواب واضح وهو أن الزنا بغيض لأسباب كثيرة . فأما أولاً فلما يترتب عليه من الانحلال الشخصي

وأما ثانياً فلأنه ضار بالمجتمع من الناحية الاقتصادية

وأما ثالثاً فلأنه من الناحية الصحية ينشر أمراضاً تناسلية، ومن الناحية القضائية لأنه يرتبط بالإخلال بالأمن وينشر الجرائم ؛ ومما لا ريب فيه أن العاهرات اللواتي يقصر البوليس اهتمامه عليهن منحلات الأخلاق ينشرن الانحلال ، ويسببن استهلاكاً اقتصادياً جسيماً ، وينشرن الأمراض . والقاعدة أن بؤرهن مباءات للمجرمين . ولكن من الخطأ الفاحش أن تظن صواحب الأنواع الأخرى من البغايا أقل أثراً منهن على المجتمع في نشر هذه الويلات ، فإن البغي العَرَضية أو المستمرة المحترفة أو الهاوية المتسترة بحرفة أو التابعة — كل أولئك يؤدين باتصالهن الآثم إلى نفس النتائج ولقد تختلف آثار بعضهن عن بعض ولكنهن جميعاً خطرات .

(يتبع) عبد اللطيف حمدي



التاريخ في سير أبطاله

مازيـــني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة)



ود مازيني لو أنه استطاع أن يجعل للأدب من وقته أكثر مما جعل له ، ولكن مشاغل السياسة حالت بينه وبين أمنيته ؛ وكان منذ عودته إلى لندن بعد ثورة عام ١٨٤٨ يوجه أكثر همه إلى الأدب الإنجليزي ، وقد أكب على دراسة حياة الشاعر الإنجليزي العظيم اللورد بيرون الذي أحبه أشد الحب لأنه الشاعر الذي هز القلوب وأيقظ الشاعر بأناشيد الحرية والقوة ، ولأنه ذلك الروح المتمرد على الطغيان والاستبداد ، ثم لأنه لم يكن رجل الفن الذي يجلس في معزل عن عصره يتغنى بالجمال ويستغرق في الفن استغراق الصوفي المسحور ، بل كان الرجل الذي كانت أغاني قيثارته صدى لآلام عصره وأحلامه ، والذي ذهب إلى حيث لاقى الموت في مناقع مسولنجي في سبيل الدفاع عن حرية اليونان

وجعل مازيني يوحي مبادئه إلى كل من يلاقيهم ، يريد بذلك أن يكسب لقضية إيطاليا أكثر ما يستطيع من الأنصار ؛ ثم أنشأ عام ١٨٥١ جمعية أصدقاء إيطاليا لهذا الغرض وسرعان ما انتظم في صفوفها كثير من ذوي المكانة من الإنجليز ، وفتحت لها بعض الجرائد الدائمة أبوابها ؛ فكانت من أكبر وسائل مازيني في الدعاية عن قضية وطنه . وكان لهذا الرجل أن يفخر يومئذ بأنه أدى إلى بلاده من جليل الخدمات ما لم يؤد مثله رجل غيره ، بل لقد كان له أن يفخر بأنه أدى إلى الجيل كله ما يجعله في مصاف قادته ويسلكه في سجل القلائل الأفذاذ الذين يباهي بهم تاريخ أوربا

لقد ملأ قلوب المستنيرين في إيطاليا كلها بمعاني الوطنية والحرية ولقنهم مبادئ الديمقراطية وسيادة الشعوب ، ونشأ الجيل كله في إلهامه ، فما من رجل من رجال السياسة وقادة الرأي في الولايات جميعاً إلا من تأثر بتعاليم هذا المجاهد العظيم ؛ ولئن كان فيهم من يخالفه في الوسيلة ، فما كانت الغاية التي يعمل على بلوغها إلا أنشودة كل وطني حر

على أنه وجد البلاد تتأثر بعد فشل حركات سنة ١٨٤٨ بسياسة بيدمنت ، تلك السياسة التي كان يمثلها كافور ، ذلك السياسي الفذ الذي يعد في حركة إيطاليا رأسها المفكر ؛ وكان كافور ومازيني على طرفي نقيض ؛ إذ كان أولهما رجل العمل الدبلوماسي الرشيد الذي يتحين الفرص ويسير إلى غايته في حذر وبطء ، ولكن في وثوق ، والذي جعل خطته تقوية بيدمنت أولاً ، ثم دفعها إلى الحرب متى آنس فيها القوة ووجد لها الفرصة ؛ وكان ثانيهما الزعيم الثائر الذي لا يفتأ يدعو البلاد إلى العصيان والتمرد لتبقى شعلة الجهاد متوهجة ، وتظل نار القلوب متأججة ، فلا يركن الشعب إلى القعود ، فينسى تلك الغاية التي تهيب بالرجال وتشد عزائم الأعزال وتوحي إليهم اليأس والاستبسال . وضاق الرجلان أحدهما بالآخر ، وكان كل منهما حرباً على صاحبه ؛ وهذا مما نعده على مازيني الذي وضع أصبعيه في أذنيه تلقاء كل دعوة إلى مشايعة أنصار بيدمنت وتعضيدهم ، والذي اعتبر كل قاعدة غير الوحدة والاستقلال مروقاً وإلحاداً في مبادئ الوطنية ودين الحرية ... وليت شعري ماذا كان يضيره لو أنه عضد كل حركة تقرب البلاد من غايتها ؛ على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل لقد أخذ يدعو إلى الجمهورية ضد الملكية ، جاعلاً بعمله هذا تلك المسألة الثانوية مقدمة على المسألة الرئيسية مما أضعف دعوته وزاد الناس إقبالاً على كافور وسياسته

وكذلك أخذ كثير من الناس يعيبون على مازيني اتخاذه الثورات وسيلة إلى تحقيق آماله ؛ وعابوا عليه أكثر من ذلك

تدبيره مؤامرات الاغتيال ، ولكنهم كانوا في ذلك يرمونه بتهمة هو منها براء ، وقد رد مازيني على متهميه بأنه يرى الثورات ضد الغاصب المسلح وسيلة شرعية ، أما الاغتيال فإنه يعده جريمة إذا أريد به الانتقام أو إذا أدى إلى القضاء على شخص لا يذهب الاستبداد معه إلى القبر ؛ وكأنما كان يبرر اغتيال من يموت بموتهم الظلم ؛ يبدو ذلك في رده على اتهام كافور إياه بأنه يدبر مؤامرة لاغتيال الملك فكتور عمانويل ، قال مازيني : « إن حياة الملك في مأمن وذلك لسببين أولهما أخذه بقواعد دستورية في حكمه ، وثانيهما أنه ليس ثمة من جدوى لهذه الجريمة »

على أن مازيني لم يعبأ بما يقول مخالفوه وما فتئ يترقب الفرص لإثارة الثورات من جديد ؛ وما لبث أن جاءته الأنباء عام ١٨٥٢ عن ثورة تدبر في ميلان ضد النمسا بين صفوف العمال وكان في هؤلاء كثير من شيعته ، فخف إليهم متنكراً حتى صار على مقربة منهم ، ولكن ثورتهم كان نصيبها الفشل السريع ، فاضطر الزعيم إلى العودة إلى انجلترة وفي نفســه من الألم والحزن والشعور بالخجل ما جاء عبأ جديداً فوق أعبائه ؛ ولقد حملت عليه صحافة بيدمنت حملات عنيفة وحملته مسؤولية هذه الحوادث وما ذهب فيها من ضحايا ، فازداد بذلك حنقه على الملكيين وتوالت حملاته هو أيضاً على خطتهم وعلى زعيمهم . وظل في انجلترة يتربص ويتصل بشيعته في وسط إيطاليا وشمالها ؛ وقد عقد النية على بعث ثورة كبرى في الوسط والشمال تكون أبلغ رد على الملكيين ، وتكون قائمة على أساس وحدة إيطاليا وطرد النمسا وإقامة الحكم الجمهوري في إيطاليا الموحدة ؛ واتصلت أسباب المودة بينه وبين قنصل أمريكا في لندن ومناه القنصل بمعونة حكومته أن كان من أكبر دعاة الديموقراطية في أوروبا

وذهب مازيني عام ١٨٥٤ متنكراً إلى باريس ثم إلى إيطاليا حيث كان يلتقي سراً بأنصاره ويوحي إليهم من خططه ما يوحي ، وكان يقضي أكثر وقته في جنوة ، وكان تنكره يحير الشرطة وزعيمهم ، وهو في الحق يعد من أغرب نواحي كفاح ذلك الرجل الذي قضى في الجهاد إلى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً بين اغتراب وسجن اختياري وتنكر ، فما صرفه هذا العذاب عن وجهته وما قعد به الجهد عن غايته ؛ الأمر الذي يكفي وحده لأن يسلك هذا الرجل العظيم في سلك أكبر زعماء الحرية في جميع العصور ويلحقه بالشهداء والقديسين الذين وهبوا أرواحهم لخير الإنسانية

وبينما كان مازيني يعد العدة لثورته الجديدة كان كافور يمشي إلى غايته بخطى حكيمة تضمه هو أيضاً في صف أعاظم الساسة في تاريخ الأمم ؛ انتهت إلى كافور رياسة الحكومة في بيدمنت عام ١٨٥٢ فجعل أولى خطاه إصلاح مرافق الولاية والنهوض بماليتها وبناء قوتها الحربية على أساس متين ، ولما تم له ذلك على خير ما يرجى أخذ يخطو خطاه السياسية وكانت تتجه إلى مكافحة النمسا بالأساليب الدبلوماسية أولاً ثم بالحرب آخر الأمر ؛ على أن يكون بدء الحرب من جانب النمسا فتكون هي المعتدية ، ويعتبر مسير كافور إلى غايته من أجمل وأقوى الحركات في تاريخ السياسة الدولية

بدأ أولاً بالتدخل في جانب المضطهدين السياسيين في لمبارديا وفينشيا الذين صادرت النمسا أملاكهم عام ١٨٥٣ ، فجعل بيدمنت في ذلك زعيمة المضطهدين في إيطاليا ، فولى الأحرار شطرها وجوههم ؛ ثم واتته الفرصة في حرب القرم فأرسل جيوش بيدمنت لمساعدة قضية الحلفاء ضد الروسيا ، فلما عقد مؤتمر الصلح في باريس عام ١٨٥٦ ، كان لبيدمنت مقعد فيه وهي مزية سياسية لها مغزاها بالنسبة لنفوذ النمسا ؛ وشكا كافور إلى رجال المؤتمر وقد كسب مودتهم بمساعدته قضيتهم من مسلك النمسا في إيطاليا فهيأ بذلك الجو الصالح لخطواته في المستقبل

واتجه كافور بعدها إلى فرنسا ، ومال إلى محالفة نابليون الثالث ، وكان نابليون يعطف على حركة إيطاليا إذ كان يرى نفسه وريث مبادئ سميه العظيم ، كما كان يطمع أن ينقض ما وضعه الساسة عام ١٨١٥ عقب هزيمة بونابرت ؛ لذلك اتفق كافور ونابليون سراً في بلومبير عام ١٨٥٨ على أن يساعده نابليون ضد النمسا نظير أن تضم مقاطعة سافوى إلى فرنسا

وأوحى كافور إلى الملك في بيدمنت أن يستفز النمسا ، فكان مما جاء في خطاب العرش الذي ألقاه فكتور عمانويل في تلك السنة : « إننا مع احترامنا جميع المعاهدات لا يمكن أن نصم آذاننا عن صيحات الألم التي تنبعث إلينا من نواح كثيرة في إيطاليا » ؛ وسرعان ما توجه الأحرار إلى بيدمنت بآمالهم في انتظار ساعة الخلاص على يديها

هكذا كسب كافور حليفة قوية وكسب الرأى العام فى إيطاليا وبقى أن تعلن النمسا عليه الحرب ليتم رسالته ؛ وكان كافور يستعجل هذه الحرب ! إذ كان يعلم أن نابليون رجل قلب كثير الأهواء والنزعات، فكان يخشى أن يتخلى عنه ؛ وكانت الحكمة تقضى على النمسا أن تتريث حتى ينقضى ما بين كافور ونابليون؛ ولكن رأى الحزب الداعى إلى الحرب فيها تغلب على أولى الحكمة فأعلنت الحرب واحتلت جنودها بيدمنت . ومشت جنود بيدمنت وفرنسا فأوقعت بالنمسا هزائم متلاحقة كانت كبراها فى سلفرينو ؛ ورأى كافور والفرح يملأ فؤاده أنه من النصر النهائى على قاب قوسين ؛ فما هى إلا أيام ثم تطرد النمسا من إيطاليا ؛ ولكن شد ما أزعجه وآلم أن يرى نابليون يخذله على حين غفلة فيعقد الصلح مع النمسا فى فلافرنكا فى يوليو عام ١٨٥٩

حنق مازينى على كافور أشد الحنق لانضمامه إلى نابليون ؛ إذ كان الزعيم لا يؤمن بغير قوة الشعب، ويخشى كما خشى فى أول سنى جهاده من الاعتماد على قوة خارجية قد يأتى من جانبها الخذلان بدل النصر ؛ وكان الخصام قد بلغ أشده بينه وبين كافور منذ عام ١٨٥٧ ، ففى تلك السنة فكر كافور فى بعث ثورة فى مودنيا وقابل مازينى شخصياً فى جنوة لهذا الغرض ، ووعده مازينى بالمساعدة؛ وفى العام التالى رأى مازينى أن تكون الثورة فى الجنوب أيضاً فى صقلية ونابلى ، وكان قد أعد عدته لذلك ؛ ولكن الحكومة فى بيدمنت أساءت فهم أغراض الثوار فى جنوة فحسبتهم يعملون لإقامة الجمهورية وإسقاط الملكية، فشتت شملهم وأصدرت ضد مازينى ونفر من أصحابه حكماً غيابياً بالإعدام

ولما خذل نابليون كافور استقال هذا من منصبه ؛ فجاء مازينى إلى إيطاليا وإنه ليرجو أن يبعث الثورات الشعبية فى ولايات الوسط والجنوب عسى أن يصل بها إلى تحقيق ما عجز الزعيم السياسى عن تحقيقه ، واختفى الزعيم الشعبي الكبير عند حاكم تسكانيا من ولايات الوسط ، فقد كان هذا الحاكم يجله ويؤمن مثله بالوحدة وإن لم يأخذ إخذه فى الاعتماد على الثورات ؛ وحاول مازينى أن يضمه إلى رأيه فلم يفلح

وأخذ الزعيم فى مخبأه يتصل بأعوانه ويحثهم على النضال ؛ وكان يرمى إلى اكتساح الولايات البابوية أولاً ثم يسير منها الثوار إلى ولاية نابلى فيتم بذلك توحيد نصف إيطاليا الجنوبى ؛ وكان كافور بينه وبين نفسه يعطف على هذه الحركة ويتمنى نجاحها لتكون أجمل رد على النمسا وفرنسا ؛ وفرح أن يسمع عن مازينى أنه يدعو إلى ترك الخلاف الحزبى والعمل للوحدة فحسب ، بل لقد كان لا يرفض يومئذ ضم الولايات الجنوبية إلى بيدمنت

ولكن حاكم تسكانيا خاف من بقاء مازينى مختبئاً عنده ، ففى تهديد ولايات البابا ما يدعو إلى تدخل النمسا ، ولذلك طلب إلى مازينى أن يرحل فلم يسعه إلا الطاعة ، وخرج وإنه ليأسف الأسف كله أن يعامل هذه المعاملة من بنى وطنه وأن يكون فى إيطاليا سجيناً وهو ما يجاهد هذا الجهاد الهائل إلا من أجلها ، ولكنه تعود الألم وألف الصبر فى هاتيك السنين الطويلة ؛ واتخذ الزعيم سبيله إلى انجلترة من جديد

ومتى يهدأ هذا الثائر المجاهد ؟ إنه لن يعرف الهدوء حتى تتحقق آماله أو يموت ، ذلك ما عقد النية عليه من أول الأمر ، وذلك ما درجت عليه نفسه الحرة وصمد له قلبه الكبير

وعاد كافور إلى الحكم واتجه صوب فرنسا من جديد وقدم نيس وسافوى إلى نابليون ليكون ظهيراً له مرة أخرى ؛ ولقد حنق مازينى وغاريبلدى على ذلك أشد الحنق . على أن مازينى أخذ من جديد يفكر فى بعث ثورة فى الجنوب يؤيدها كافور ، وصرف إلى ذلك همه وما زال بغاريبلدى حتى حمله على أن يسير هو والبواسل الألف من رجاله إلى صقلية ، وقد جاء مازينى إلى إيطاليا متنكراً ليكون على مقربة من الأبطال المجاهدين ، وحل بجنوة وأقام بها فى مخبأ لا يراه أنصاره فيه إلا تحت ستار الليل، وراح يمد غاريبلدى ورجاله بكل ما يصل إلى يده من المال ؛ وحالف النصر غاريبلدى فعبر من صقلية إلى نابلى ، وطرب الأحرار فى إيطاليا كلها لهذه الحركة العجيبة تأتى على يد ذلك البطل العظيم ؛ وانتعشت آمال مازينى وذهب إلى نابلى ليستحث المقاتلين وكانت قد سقطت تلك المدينة فى يدهم ، وأخذ كافور يترقب فى حذر على عادته ويخشى أن يعتدى غاريبلدى وجنوده على أملاك البابا فتتدخل أوربا ، ولكنه ما لبث أن وجد الفرصة المرجوة فأرسل جيشاً دخل أراضى البابا ، ثم تقدم فكتور عمانويل على رأس جيش فدخل نابلى وقابله غاريبلدى وقدم له الطاعة ؛ ورأى الأحرار أن الوحدة المرجوة أوشكت أن تتم

ولما صار مازينى على مقربة من النصر أخذ ينادى بمبادئه الجمهورية من جديد فأدى هذا إلى حنق كثير من الناس عليه حتى لقد ألقيت قنبلة فى نابلى تحت نافذة مسكنه ، وطلب إليه

أصدقاؤه ففعل بعد احتجاج شديد وعاد إلى انجلترة فى نهاية ذلك العام ١٨٦٠ ؛ ولكنه عاد هذه المرة مسروراً بما تم تحقيقه من آماله، تطيب نفسه بما يحسه من شعور الناس جميعاً نحوه حتى الملك فقد قال حينما طلب إليه الخروج : « دعوا مازينى حيث هو ؛ إذا نحن عجزنا عن بناء إيطاليا فليبنها هو ، ويومئذ أكون أول المصفقين له » وإن الملك ليشعر فى قرارة نفسه أن ما تم بناؤه حتى ذلك اليوم من هذا الصرح إنما قام أكثره على كاهل ذلك المجاهد الصبور

لم يبق إلا روما وفينسيا كى تتم الوحدة ؛ وذلك ما كان يشغل مازينى بعد عودته إلى لندن . وكان لا بد من حرب ضد النمسا كى تضم فينسيا ، أما روما فقد كانت بها حامية فرنسية وقد تعهد فكتور عمانويل ألا يمسها بسوء بعد أن رفضت الانضمام إلى بيدمنت .

ولم يكن مازينى بالرجل الذى ينتظر ما عسى أن تفعل حكومة بيدمنت، ولذلك جعل يتصل بغاريبلدى لكى يحل العقدة أو يقطعها. وقد آلمه موت كافور عام ١٨٦١ على الرغم مما كان بينهما من خلاف

وفى سنة ١٨٦٢ هجم غاريبلدى ورجاله على روما فردته جنود عمانويل وأصيب البطل فى هذا الهجوم بجرح بالغ على يد رجل من بنى وطنه . وكان مازينى قد حضر إلى لوجانو ليكون على مقربة من هذا الجهاد الجديد، ولقد آلمه ما حل بغاريبلدى وبخاصة عند ما علم بإلقاء القبض عليه وسجنه ، فراح يندد بالملك وحكومته فى حماسة وسخيمة لم يسع الملك إزاءها إلا أن يصدر حكم الإعدام عليه للمرة الثالثة

ولما فشلت حملة غاريبلدى ، عاد مازينى إلى انجلترة ، وكان يومئذ فى الثامنة والخمسين ، إلا أنه كان لطول ما أبلى وناضل يبدو أكبر سناً . على أنه لم يفقد شيئاً من حميته ، وظلت له حرارة قلبه وقوة روحه وحماسة عبارته وسحر نظرته ؛ وعاودته الفاقة فى غربته ، ولكنه ازداد أنصاراً ومحبين . وكان يؤلم نفسه أن يرى عمره يتصرم دون أن يستطيع أن يجعل للأدب ما أراد من خدمة. وكان فى تلك السنين يتتبع أخبار الحرب الأهلية فى أمريكا ، واتصل بجماعة التحرير الانجليزية فى لندن . وكان يبدى إعجابه ببطولة الرئيس لنكولن وجهاده فى سبيل الوحدة والتحرير ويتمنى لو كان له مثل ما كان لذلك الرئيس العظيم من النفوذ الرسمى . ولما اغتيل الرئيس لنكولن حزن عليه مازينى أشد الحزن ، ولكنه كان يرى الفرق بينهما جلياً ، إذ لو حضره الموت الآن لمات قبل أن يرى وحدة بلاده ، ولم ينعم بها ساعة كما نعم لنكولن قبل موته

وحاول ملك بيدمنت أن يستعين بمازينى على بعث ثورة فى فنسيا وفاوضه فعلاً فى هذا ، ولكنه عاد فتركه أمام اعتراض رجال حكومته . وفى سنة ١٨٦٦ أعلنت حكومة بيدمنت الحرب ضد النمسا منتهزة فرصة انشغالها أمام ألمانيا ، ولكن جيوش بيدمنت هزمت فى البر والبحر هزائم كانت مخزية للملك ورجال حكومته ، ولقد أدت هذه الهزائم إلى نشاط دعوة مازينى من جديد إلى الجمهورية ، ولقد لقى فى تلك الظروف من الآذان الصاغية إليه أكثر مما لقى من قبل ؛ والحق لقد أصبح هذا الأعزل الشيخ رجل إيطاليا كلها . وأى رجل يبلغ منزلته وله من جهاده فى سبيلها زهاء أربعين عاماً لم يعرف خلالها إلا الغربة والفاقة والعذاب الشديد ؟ إن مخالفيه فى الرأى ومؤيديه جميعاً ليرون فيه الروح الذى علم الجيل وأوحى إليه الإيمان والفداء. وها هى ذى العرائض عليها أكثر من أربعين ألف توقيع ترفع إلى الملك بطلب العفو عن الغريب المجاهد كيلا يغمض عينيه إغماض الأبد فى بلد غير إيطاليا التى وهبها حياته ، وها هى ذى ولاية مسينا تختاره أربع مرات متتالية لتمثلها فى برلمان إيطاليا كلما أبطلت الحكومة انتخابه عادت الولاية فاختارته

وبقيت روما لتتم الوحدة وكان قد عاد غاريبلدى عام ١٨٦٧ بهجوم عليها ولكن الحامية الفرنسية انتصرت عليه فردته عنها . على أن مازينى كان يرجو أن تعلن روما الجمهورية فتكون عاصمة إيطاليا الجمهورية ؛ وقد عاد ينشر مبادئه الجمهورية ويأمل أن يبعث آخر ثورة فى البلاد تكون هذه المرة ضد ملكية بيدمنت وتكون غايتها إقامة الحكم الجمهورى ؛ وقد اتصل مازينى برجل ألمانيا بسمارك ورجا منه المساعدة فماطله بسمارك ثم انقطعت الصلة بينهما

وفى سنة ١٨٧٠ رحل إلى صقلية ليبدأ الثورة فيها على الرغم من توسل بعض أصدقائه إليه ألا يفعل ، وهناك ألقى القبض عليه فى بالرمو حيث سيق إلى السجن فى جيتا ؛ ودخل السجن الزعيم الشيخ وبود حراسه لو لم ينط بهم حبسه . أنظر إلى حارس السجن كيف يدير المفتاح فى مدة ثلاث دقائق حتى لا يسمع الزعيم أنه يغلق الباب عليه ...

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

ولبث فى السجن بضعة أسابيع يقرأ شكسبير وبيرون ، ثم أفرج عنه عقب سقوط روما فى تلك السنة فى بيدمنت وأصدر الملك عفوه عنه ولكنه رفض أن يقبله ؛ وشهد الزعيم فى أواخر أيامه وحدة إيطاليا ، ولكنه كان لا يفتأ يعمل للجمهورية !

وقضى سنتين متنقلاً بين بعض البلاد تحت اسم مستعار حيث زار قبور الشهداء من رجاله وحج إلى قبر أمه فى جنوة . وفى مارس من عام ١٨٧٢ سكت هـذا القلب الكبير وانطوت هذه الحياة الحافلة بالجهاد المرير الطويل ، وبكت إيطاليا كلها الرجل الذى ظل حتى آخر عمره يكدح ويلاقى صنوف العذاب من أجلها

(تم البحث) **الخفيف**

رَمَاد . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا تَعْبَثى بفـؤادِى   وأكْرِى آلامِى
شَيَّيْتِ فى القلب ناراً   من لَوْعـةٍ وهُيَام
أضْللتِنِى عن حياتِى   بِلَذْعـةٍ واحتِـدام
فـما أخافُ وَرَائى   غَيْباً ، أراهُ أمامى
أرتابُ حتّى أرانِى   فى حَيْرةٍ وظَـلام
فى مَهْمَـهٍ من شكوكٍ   قَفْرٍ من الأعلام
لا أهتـدِى لِنَجَاةٍ   فى أُفْقِـهِ المُتَرَامى
اسوَدَّ ليْلِى، وصُبحى   مُلفَّفٌ فى قَتَـام
فلا أرى من دَليلٍ   يَهْدِى خُطَى أقدامى
صَحِبتُ نفسى ، ونفسى   من صُحبَتى فى اضطرام
كأنّنـا فى زِحامٍ   يَرمى بنـا فى زِحام
مجـرَّحَيْن كُلُوماً   من صَدْمةٍ ولِطام
حتى أبِيدَتْ قُوَانا   فنحنُ صَرْعَى مُدَام
ثم استفقتُ فطارتْ   لَوَاهِبٌ فى عظـامى
قلبى ورُوحى وعَيْنى   — وكلهن ظَوَامى —
لا يَهْتَـدِينَ لِبَرْقٍ   مُبَشِّرٍ بِرِهام
ولا لِنُطْفَـةِ ماءٍ   تَبُـلُّ حَرَّ أُوَام

وُعِدْتُ فَرْداً وحيداً   يَجُوب غَوْلَ المَوَامى
حَيرانُ أعمى يَجولُ   مُصَوَّرٌ من سَقَام
يكادُ يمـسُّرُ وَهْناً   بنفسِـهِ فى القِيام
تخطَّفَتْهُ شكوكٌ   جياشـةٌ كالضِّرام
لم تُبْقِ إلاّ حُطاماً   يَنْقَضُّ فوقَ حطام
تستقبلُ الأذْنُ منه   حسًّا كَمَيْتِ الكلام
تخالُه من فُتُورٍ   مَنـاحَةَ الأيتام
مُفزَّعِينَ وُجوماً   يبكونَ فوقَ رِجام

* * *

يا مَاثِلاً لعُيـونى   وطائفاً فى منـامى
وسابحاً فى سُكُوتى   وسـارباً فى كلامى
وحايِراً عن فؤادٍ   صَبٍّ فضُولَ اللِّئام
أفْنَى شَكاتى ، وأوْدَى   بِمَتْعَبِـهِ ومَلامى
ما كُنتُ أحسبُ دَلاً   يَسيلُ سَيْلَ انتقام
أو أنّ سُكْرَ شبابٍ   يجورُ سُكْرَ غَرام
يَقسُـو فيرمى بسهمٍ   مَهْدَ الجُرُوح الدوامى

* * *

أحببتُ مِلْءَ فؤادى   ومِلْؤُهُ أوهـامى
حتّى وجدْتُ كأنى   أعيشُ منْ أحلامى
ملأتِ دُنيـاىَ نوراً   يُضىءُ دُنيـا الأنام
فكلُّ مَرْأى عليه   حَـلاوَةٌ من وَسام
يَغْذُوهُ نورُكِ حُسناً   حيًّا كصَوْبِ الغَمام
فما ترى العينُ إلاّ   زَهراً على أكمام
أنفاسُـهُ عَطِراتٌ   نشوَى بغـير مُدَام
ممثّـلاتٌ لِرُوحى   مُعَرْبِدَاتَ القَوَام
أسْـنِى ، إخالُ ، كأنى   أصْـغِى إلى أنغـام
تدنو فأدنو ، فتغنّى   أنغامُها فى ظَـلام
وتارةً هى هَمْسٌ   كَلَمْحـةٍ من سَلاَم
كأنها فى ضمـيرى   تُسِرُّ بعضَ الغَرام
أو يستطيرُ سَنَاها   فى القلب ضوءَ ابتسام

* * *

أوّاهُ من حسْرَةٍ   تقــودُنى بزِمام

أنا والبحر

للأستاذ خليل شيبوب

أيُّها البحرُ رَجِّعِ الأحلاما   مثلَ ترجيعِ موجِك الأنغاما
فى ظلام الدُّجى تبثُّ شكاوا   كَ الحزيناتِ تستثيرُ الظلاما
غير أن النُّيامَ لم يسمعوها   إيهِ ليتَ النيامَ ظلُّوا نياما
ليس فيهم سوى الأذى لمحبٍّ   موجعِ القلبِ لا يُطيقُ مَناما
فى فؤادى موجٌ كموجك يبكى   بدموعِ الألحانِ يجرى انسجاما
ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ   فى فؤادى دَوِيها يترامى
لا تهمُّ الصخورَ شكواك ترويها   كشكواىَ لا تهمُّ الأناما
نحن إلفانِ ساهرانِ ولكنْ   ثُرْتَ ماءً وثارَ قلبى ضِراما
إن شكواكَ حالةٌ ثم تمضى   لا كشكواىَ من شقاءٍ أقاما
أنتَ تصفو حيناً وتهتاجُ حيناً   وحياتى ما تستقرُّ احتداما
لكَ هذى الآفاقُ تمرحُ فيها   وفؤادى فى الصدرِ جُنَّ اكتتاما
وإليكَ الأقمارُ ترنو ولكنْ   كلُّ من قد أحببتُ عنى تعامى
لك بأسٌ يغادرُ الريحَ صرعى   لا كضعفى يصارعُ الآلاما
ويوالى النسيمُ تقبيلَ أموا   جكَ منثورةً تُراحُ جماما
ويوالى الغرامُ نفسىَ تعذيـ   ـباً ويُغرى السقامَ بى والحِماما
وبقلبى كما بقلبكَ دُرٌّ   أنبتتْه الحياةُ خيراً تُؤاما
وكلانا ضمَّتْ قراراتُه المو   لَ وراعتْ أسرارُها الأفهاما

* * *

واصِلينى أو قاطعينى سِيَّا   نِ إذا كنتُ لا أرومُ مَراما
حبذا هجرُكِ الطويلُ إلى نفـ   ـسى ويا ليتَه يدومُ دَواما
إن فى لذَّةِ الوصالِ شكوكاً   قد أحالتْه عَلقماً وسِماما
لستُ أخشى إلا الشكوكَ التى بى   كالأعاصيرِ تكسحُ الآجاما
ليتنى لا أحنُّ وجداً ولا أشـ   ـتاقُ تلكَ العهودَ والأياما
كيفَ لى بالحياةِ من بعد ما أصـ   ـبحَ يقذى الجمالُ عينى ابتساما
سَوْأةً للحياةِ ما كان أغنا   نِى عنها لو استطعتُ انعداما
وأقولُ الزمانُ يُصلِحُ قلبى   ويداوى الجراحَ والأسقاما
وعلىَّ الصبرُ الجميلُ لذا رُحـ   ـتُ أعدُّ الشهورَ والأعواما
غير أنى أزيدُ يأساً على يأ   سٍ وأستنجدُ الردى استرحاما
خجِلاً من عواطفى غاضباً كيـ   ـفَ أرانى معذَّباً مُستضاما
مستلِذًّا ما بى أغالطُ نفسى   مُستطارَ النهى رضًى ومَلاما

* * *

أيها البحر هاجنى نغمٌ كد   تَ به توقظُ الصخورَ النياما
أبدىٌّ تصغى إليه السرارى   رانياتٍ تردُّ عنكَ الظلاما
حمَّلتْه الأنسامُ فالتفَّ بالمو   جِ يُماشى الأمواجَ والأنساما
أيها البحرُ ثُرْ ورُقْ واصفُ واكدُرْ   قد رَضينا حياتَنا استسلاما

(الاسكندرية)   خليل شيبوب

لا تملكُ النفسُ منها   إلاَّ رمادَ الكلام
قد كان جَمْراً فنامتْ   أيقاظُه فى النِّيام
واستيقظتْ لى هُمومٌ   حياتُها من خِصام
أفنتْ شبابَ خيالى   وعيَّثَتْ فى نظامى
حتى رأيتُ الليالى   تطوفُ فى أيامى

محمود محمد شاكر



دراسات في الفن

آلو ... الدكتور عزام ؟!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— يا للنهار ! مالك أنت والغناء ؟ لك ساعة وأنت تموى وتنهق بأكره الصوت جاداً مجتهداً كأنما تجرب إذاعة لهذا المساء ؟ هل زيفت نفسك على ماركوني والقيت في روعه أنك موسيقى مغن مطرب ملحن ؟ أما إذا كنت فعلتها فهي كبرى المصائب ، ونكبة النكبات

— إني لم أفعلها إلى الآن . ولكني أعد نفسي لها ، وهي من غير شك أربح الأشغال في هذه الأيام . فقد وصل سعر اللحن عند ماركوني إلى مائة جنيه ، ينفق عليه منها عشرة على الأكثر يأخذها تخت كامل وفوق الكامل . ثق أني سأبدأ العمل وثق أني أعرف طرق النجاح فيه

— قل شيئاً غير هذا ، وامح علامات الجد هذه من على وجهك فقد كدت أصدقك ... أمجنون ؟!

— سترين أني عاقل عندما تسمعين مصطفى بك رضا بنفسه يقدمني للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول : « آنساتي سيداتي سادتي . أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقري البروفسور عزيز فهمي في أغنيته الأولى « التختروان » وهي من تأليفه وتلحينه ... على تخت مكون من كبار رجال الفن »

— وما الذي يمنعك ما دمت واثقاً أن هذا ممكن ؟

— لا شيء يمنعني . وإنما كانت الفكرة غائبة

— وقد جاءت الفكرة وستنفذها . أليس كذلك ؟ قل لي الآن بم ستبدأ

— بالشعر ... صحيح أني لست شاعراً ولكني أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام . ثم إني أعرف الكلام الذي يحبه الجمهور وليس علي أكثر من أن أرصه في النظم رصاً وهو لا يعدو « النوح والدوح ، والأغاني والأماني ، والدموع والخضوع ، والغزل والأمل » وسائر هذه الألفاظ التي يقولها القمر للأستاذ أحمد رامي وهو نائم تحت السرير في الغرفة الغربية المطلة على الحقول من منزله في حدائق القبة ... فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً بدأت في تلحينها ، وهذا شيء أيسر من الشعر ، وهو لا يكلفني أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الشرقية والغربية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه ، وآخذ لكل شطر أو لكل بيت من أغنيتي لحناً من هذه الألحان ، فإذا لاحظت في هذا الترقيع أن يكون منسجماً يمشي بعضه مع بعضه من غير تنافر فإني قد جئت بما لم يجيء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه، فنحن لا نزال نرى في مقطوعاته جميعاً التنافر ظاهراً بين أجزائها المجموعة من الشرق والغرب ... فماذا تريدين مني أكثر من التفوق على عبد الوهاب ؟

— وبعد ؟

— أتفق مع الأستاذ محمد القصبجي على أن يتعهد بمراجعة اللحن مع أفراد التخت بخمسة جنيهات يأخذها ربحاً حلالاً على هذا ، وعلى أن يعزف معي بعوده الممتاز في الإذاعة ... وهو لن يرفض خمسة جنيهات حلالاً ... وإذا أخذ الأستاذ إبراهيم العريان وهو سيد العازفين على القانون في مصر جنيهاً واحداً ليشترك معي في الإذاعة فإنه سيدعو لي ليلاً ونهاراً لأنه يقضي الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا زكريا أحمد الذي يعرف قدره وقدر فنه ولأن الباقين يتقونه خشية أستاذيته ... وتبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت ، ولا شيء أخيراً إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الملق والمداهنة وأنا زميل لهم وأظن أنهم يجاملونني

— طيب والغناء ؟ أتغني بصوتك هذا نفسه ؟

— ولم لا ؟ أليس صوتي أرخم من صوت الأستاذين حسين المليجي وحامد مرسي ؟ وما دامت الصحافة ستقول هي وماركوني إني مغن ممتاز عبقري ، فلا بد أن يصدق الناس أني كذلك ... والحق أني كذلك ...

— تريد أن يجوز هذا عليّ أنا أيضاً ؟

— الفنان الحق يا آنستي لا بد أن يؤمن بفنه قبل أن يؤمن به الناس ...

— يا عينك ! ولكنك لم تقل لي كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهي إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ...

— هذه أهون الهينات ... وهي بيد الدكتور عبد الوهاب عزام الذي لا يزال يذكر أني تلميذه ، والذي يعطف عليّ فيما يبدو لي ، والذي أعتقد أنه لا يتأخر عن مساعدة رشيقة كهذه . .

— وما للدكتور عزام الأستاذ في الجامعة والذي يكتب عن رحلاته في الشرق والغرب ، وهذه « الألعوبة » أو « الألعبانة » التي تريد أن ترتكبها ...

— الرجل رجل طيب ، فإذا التصقت به لم يجرؤ على طردي لأنه حيي خجول ، ولأني سأذكره بالحكمة التي تقول : « من علمني حرفاً صرت له ضيفاً » وقد علمني هو اللغة الإيرانية كلها ... والدكتور عزام قريب صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف في وزارة الأوقاف فإذا رآني حول الوزير مرة أو مرتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً ... فإذا دعوته يوماً إلى سماعي ونبهته إلى أن الدكتور عزام سيسمعني معه خف إليّ كالبرق الخاطف حباً في مجالسة الناس الطيبين ، فإذا لبي الدعوة هؤلاء الناس الطيبون الذين من عادتهم أن يجبروا خواطر الناس ، بدأ الإيمان بي وبفني يدخل نفس ماركوني ، فإذا جاملني أحد الناس الطيبين « بآه » أو « بأحسنت » كان هذا مستنداً لي على أني فنان مقتدر ... فإذا قلت عن نفسي بعد ذلك بأني عبقري وأني نابغة العصر والأوان زيادة على أني شاعر كبير ومثقف مطلع ومفكر عظيم فإني من غير شك واصل إلى الاتفاق الذي أرجوه ...

— ولكن هذا كله لا يساعدك في شيء ... فمصطفى بك رضا نفسه موسيقي ، وهو نفسه حَكَمٌ في الفن لا يمكن التدليس عليه

— قد يكون هذا حقاً ، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم بالفن وحده ... فهو بلا شك يقيم إلى جانب الفن اعتبارات أخرى يستعينها في الحكم على الفنانين الذين يعملون في الإذاعة . . وإلا فكيف يسمح بالغناء لمن تعرفيهم من المغنين الذين لو استمعوا إلى أنفسهم لما رضوا أن يغنوا ... ألا يذيع كثيرون من هؤلاء ؟

— ولماذا يفعل هذا ؟

— إسأليه ... واعلمي أنه محسوب على السيدة نفيسة فهو تقي جداً وورع جداً ولا يمكن مطلقاً أن يقول غير الحق ولا أن يظهر غير ما يخفي ... زيدي على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية ، وأن له من الحسب والنسب ما يدرأ عنه كل شبهة ... وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب ... طيب جداً ، سبحته لا تفارقه ، وشفتاه لا تكفان عن التمتمة والتسبيح ، ولعل ماركوني لم يأخذه إلا لأنه بركة

— إذن فقد انتهى الأمر ، وإني أوصيك بأن تبدأ ...

— اسألي لي عن الدكتور عزام بالتليفون ، فإذا وجدته فقولي له : إن هيئة كبار العلماء ستتغدى عندك اليوم .

— وما لهيئة كبار العلماء هذه أيضاً ؟

— هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على فرقتنا التي كانت مؤلفة من ثلاثة . قال الأستاذ أحمد أمين يوماً : إن كلية الآداب لم تر مثلهم ولن ترى مثلهم

— في الجد والتحصيل ؟

— لا . في العنف والكفاح والرجاء والإيمان . دعينا من هذه الذكريات . هل وجدت الدكتور ؟

— لا . فلننتظر ساعة . والآن قل لي : لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك « التختروان » ؟

— أنا لم أختر هذا . وإنما هو الرد الطبيعي على أغنية « الجندول » التي غناها عبد الوهاب . « فالجندول » هذا مركب أوربي يسير في شوارع البندقية — وهي مياه — ولا يعرف هذا « الجندول » إلا فئة خاصة من المصريين ؛ أما « التختروان » فيعرفه المصريون جميعاً والعرب جميعاً ، لأنه « الهودج » الذي يوضع على ظهر الجمل فإذا كان « الجندول » الذي لا يعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب في أن يتغنوا « بالتختروان » !

— ليس الذنب في « الجندول » ذنب عبد الوهاب ، وإنما هو ذنب الأستاذ الشاعر علي محمود طه المهندس الذي زار البندقية وحدث له « الجندول » فيها فسجله شعراً ، ولحنه عبد الوهاب

— قد يغتفر للأستاذ الشاعر هذا الجندول ما دام قد حدث له

ولكن لماذا يغنيه الأستاذ عبد الوهاب ؟ وقد خلق الله له موهبة التقليد التي يأبى أن يستغلها

— لم أسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانتها بين الفنون إلا الآن

— هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ؛ وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يغني كل ما يسمعه ويوفق في تأديته خير التوفيق ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يمرضه بين الفصول يغني للنظارة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت ، فكان ينال إعجاب الناس ، وسمعه بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك فطرب له فاحتضنه وتبناه وقدمه لأصفيائه وللبيئة التي كان يعيش فيها وهي بيئة الأمراء والكبراء فكان عبد الوهاب يغنيهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستحسنوا غناءه ؛ فلما مات سيد درويش فوجئ الجمهور بعبد الوهاب الملحن الموسيقار ، وكانت المفاجأة بالطريقة التي أريد لها أن أُلجأ الجمهور بها ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يتعثر إذ عدل عن الموهبة التي خلقها الله له إلى ما لم يسمح الله له به . على أنه كان غالباً ما ينجح إذا غنى الواليا ، ذلك أنها غناء مصري للقاهرة ، فيه أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد سلمت بعض قصائده من التنافر والتخبط لكثرة ما غنى في ماضيه للمرحومين : الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ؛ أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب يعاني الأمرين في غير شك في صوغه . وقد كان المرحوم شوقي بك يغربل له موسيقاه فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأي إلا السجود لها ولا أقل

— يا شيخ ! لا تكن ظالماً

— لست أظلمه . ولو أنصف عبد الوهاب لظل كما كان مغنياً يغني لغيره ممن يستطيعون التلحين ، أو أن يكون مغنياً بلدياً كغيره من أولاد البلد الفنانين البارزين ، وليس هذا عيباً ، وليس فيه حطة ، فالناس كلهم أو أغلبهم مجمعون على استحسانه في المواليا ، وفي القصائد قبل أن يفرنجها ... أليست « يا جارة الوادي » خيراً من « الجندول » ؟ ولكنه أصيب بما في رأسه ، وهو لا يريد مطلقاً أن يذكر الجمالية ، ولا باب الشعرية ، ولا « حوانيت الترزية ... » مع أنه أنفق حياته الأولى في هذه ... وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل ماضيه ... وإن حياة الفنان الأولى التي قضاها وهو بعيد كل البعد عن التفكير في مشاغل الدنيا وأرباحها وخسائرها لهي المعين من الفن الذي لا ينضب ... وإنها أصدق ما يمكن أن يبرزه من الفن ، وأسنى ما يمكن أن يطالع به الناس من عواطفه وخلجات روحه . أليس كتاب « الأيام » هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين بك . وأي شيء في كتاب « الأيام » غير قسط ظاهر من الصدق ... إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام ... وهذا الإنسان الآخر له مجد وله مكانة وله شهرة ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل « طه حسين » بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك نفسه يعترف بهذا فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يكتبها وتخرج من بين يديه خير ما كتب ...

— إذن فعلى عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره ...

— من غير شك هذا هو خير ما يستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى ما فيه ، ولأنه كان هكذا في طفولته ... فهذا هو ما خلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه ...

— ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً ... فمن الذي يعطيه مائة جنيه في أغنية قديمة ؟

— الرزق هذا شيء لا حيلة للإنسان فيه ، وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يعطي بعد ذلك من غير حساب ... إن بتهوفن وسيد درويش ماتا معدمين ولم يجمعا في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أنصع منهما فناً ؟ ... إن كرستوف كولمبس الذي عثر على . أمريكا لم يمت إلا بعد أن استجدى في شوارع نابولي على ما أظن ... فالرزق شيء والعمل شيء ... والفرقة القومية بدأت تفكر في تقديم الأوبرا والأوبريت ، وعبد الوهاب من غير شك هو المغني الأول الذي أرشحه لها ... فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا العرض ؟ ...

— يهديه الله ...

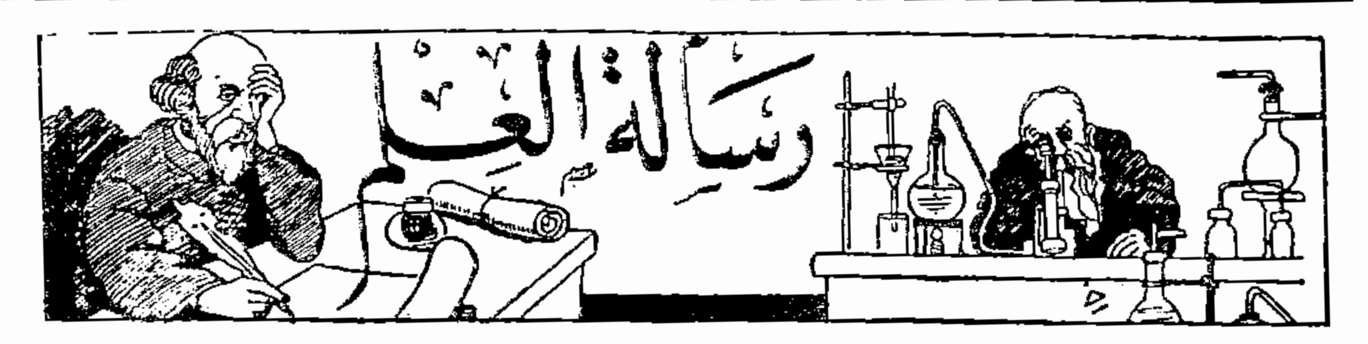
— سيهتدي عند ما يرى أن أزاحه ، وعند ما يجد مني سر نجاحه ، وعند ما يلحظ أني سأحسن استعمال هذا السر أكثر مما يحسنه

— إذن . فأنت لا زلت مصراً

— من غير شك ... إسألني عن الدكتور ...

عزيز أحمد فهمي

(الرسالة) لا نظن كثيراً من النقاد يشاطرون الأستاذ عزيزاً رأيه في الأستاذ عبد الوهاب .



الهندسة وابن الهيثم

قديماً وحديثاً (*)

للدكتور محمد محمود غالي

أفاض المتكلمون وأبدعوا، وأخرجوا للعالم العربي ما في بطون الكتب من مآثر، لم نكن نوليها انتباهاً، فلم يدعوا لي شيئاً بارزاً أذكره لابن الهيثم، ورسموا صوراً هي أقرب الصور إليه سجلوا فيها أعماله ومبلغ تحليله للمسائل وفهمه للأشياء. هذا هو ابن الهيثم، عالم طبيعي له مشاركة في الفلك والعلوم الرياضية والفلسفية وفضلاً عن ذلك نرى الهندسة تقترن باسمه، بل إن شهرته كمهندس غلبت على بقية صفاته، من ذلك ما ذكره القفطي في كتابه: «أخبار العلماء» من أنه الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري، وأنه صاحب التصانيف والتآليف المديدة في علم الهندسة، وهو بعد ذلك يتحدث عنه في بقية الكلام كمهندس أكثر منه عالماً طبيعياً

والواقع أن دراسة تحليلية لابن الهيثم لقمينة أن تضعه في صفوف علماء الطبيعة أكثر من أن تمده بين المهندسين، وإنما وصل إلى هذه النتيجة من أثره التجريبي لا من أثره في التأليف، ولكنا لا نجزم بهذا الرأي كنتيجة نهائية لبحثنا هذا. فتجاريبه في علم الضوء معروفة، وقد شرحها بمهارة زميلي الأستاذ مصطفى نظيف بك، ولا نزاع في أننا متفقون في التفريق بين الهندسة كجزء من علم الرياضة وبينها كمجموعة لأعمال فنية أو إنشائية. إنما يعرف المهندس بآثاره الإنشائية أكثر من أثره في التأليف.

(*) محاضرة ألقيت في الاجتماع التخليدي الذي عقد بالجامعة المصرية لذكرى هذا العالم الذي عاش بالقاهرة

فأعوتب مهندس الملك زوسر باني هرم سقارة، مهندس كشف عن استعمال «الطوبة» وهي تدعو للإعجاب؛ وكيف لا نعجب له حين عرف كيف يكوّن من اللبن والحجارة أشكالاً منتظمة، أشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع، فيها كل هندسة إقليدس وأكتنيوس ومساعده كليكراتس، عندما شيدا البارثينون Partinon أهم معبد فوق الأكروبول، وهو الذي تم تحت إشراف النحات المعروف فيدياس في عهد بركليس الذهبي، كانا مهندسين عظيمين، فإن عملهما الإنشائي لا يزال إلى اليوم جديراً بالتقدير؛ وجارنييه Garnier باني أوبرا باريس وإيفيل الذي شيد بها البرج المعروف مهندسان أحدهما في العمارة والثاني في الإنشاءات الحديدية وكلاهما باعث دهشة. ترى هل كان لابن الهيثم من عمل إنشائي يضعه بين المهندسين الذين يذكرهم التاريخ؟ هذا ما لم يقم دليل عليه كما لم يقم دليل على بطلانه، ومع ذلك فهو صاحب كتاب العقود الذي لم نعثر عليه لنتبيّن غاية ما بلغه من التقدم في أعمال ما زالت أهم ما يقابل المهندس عند تصميم القناطر والخزانات والأبنية الكبيرة

ولسنا نغض بهذا من شأن ابن الهيثم كمهندس وهو الذي بين تصانيفه كتب عديدة تمت إلى علم الهندسة وتبحث في علم المساحة والتخطيط، وقد ذكر الكثير منها الدكتور مشرفة بك، وأضيف إلى ما ذكره كتاب العقود، وكتاب أصول المساحة، واستخراج أربعة خطوط، وحساب الخطئين، وحلل الحساب الهندسي، ومسألته في المساحة وغيرها

ترى هل خرج ابن الهيثم من مجال التأليف إلى مجال الإنشاء؟ يغلب على ظننا ذلك، وقد يدلنا التاريخ أو البحث يوماً عن آثاره في هذا، فإن شهرته كمهندس بلغت من الذيوع والانتشار ما جعل الحاكم صاحب مصر من العلويين يتوق إلى رؤيته، وقد نقل له

عن ابن الهيثم أنه قال : « لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل منه النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الإقليم المصرى » فازداد الحاكم شوقاً إليه وأرسل فى طلبه ورغّبه فى الحضور ؛ نشدّ ابن الهيثم رحاله إلى مصر ولما بلغها خرج الحاكم للقائه على باب القاهرة وأمر بإكرامه ، وطالبه بما وعد به من أمر النيل ؛ نسار ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على ما خطر له ، فلما جال الاقليم بطوله وتبين آثار الأقدمين ، وهى تمد بدعة فى الصناعة وآية فى الهندسة ، تحقق أن الذى يقصد إليه خارج عن طوقه ، فإن من تقدموه لم يكن ليغيب عنهم علم ما يعلم ولو أمكن لفعلوا ، ففترت همته ، ووهنت عزيمته ، ووصل إلى موضع الشلالات بعد أسوان وعاينه واختبره فوجد أنه يختلف عما كان قد فكر فيه ، وتحقق الخطأ فيما وعد به واعتذر للحاكم

وليست هذه الواقعة التى سردها بعض المؤلفين لتقلل من شأن الرجل العالم الذى تحتفل بذكراه ، فنى بناء هيكل المعرفة خطا ابن الهيثم المهندس البصرى الخطوة الكبرى إلى الأمام ، وكان ممن وضعوا حجراً أساسياً فى العلوم تتوارثه جيلاً بعد جيل

***

جيل يتلو جيلاً ، جيل يتصرّم ويحل جيل ، وطوى الزمن تسعمائة عام على هذا العالم ، تغيّر خلالها وجه الأرض ، وحلت مدنية تختلف عما تقدمها من مدنيات ، وعصر لا يشبه ما خلا من عصور ، وألفينا أنفسنا أمام صورة جديدة للفن الهندسى ارتبط بالتقدم العلمى ارتباطاً وثيقاً وتفرّعت الهندسة فى غير المهارة إلى هندسة آليّة وكهربائية بل وموجيّة ، وأثّر هذا فى مقدرتنا على العمل وأثرنا فى الإنتاج ، ولو أننا نظرنا إلى أحد هذه الفروع وإلى الهندسة الموجية لوجدنا أننا وصلنا إلى نتائج تستوجب النظر

أولاً : فى الانتشار الصوتى وعلى متن الأسلاك يستطيع أن يتخاطب بالتليفون مئات الأشخاص أو أكثر على سلك نحاسي واحد فى وقت واحد ، أمر يحدث اليوم بين العواصم الكبيرة . أذكر على سبيل المثال الخط بين لندرة وبرمنجهام، حيث يتكلم على سلكين المخاطبات التليفونية وضع بجانبهما سلكان للتوسع المنتظر فى استعمال التليفزيون حوالى ٣٥٠ شخصاً فى آن واحد ، ويفهم كل منهم أخاه دون أن تختلط هذه الأصوات العديدة .

بل أرجع السامع إلى محاضرات فورتيسكيو Fortescue أستاذ جامعة لندن عند زيارته لكلية الهندسة العام الماضى بدعوة من العميد ، بل أحيله إلى ظواهر يعرفها منذ عدة سنين كل الذين شغلوا أنفسهم فى المختبرات بظاهرة الانتخاب فى الظواهر الدورية

ثانياً، فى الانتشار الموجى والتبادل الضوئى الكهربائى استطاع الإنسان أن ينقل الصور الفوتغرافية إلى مسافات بعيدة ، دون استعمال الأسلاك ، وكان تطبيق ذلك فى نقل الرسائل فى الصين بلغتهم المعروفة بحروفها العديدة مما يدعو للاعجاب ، وهو الإعجاب الذى استولى على كل منا عند ما طالعنا من أربعة أيام فى الصحف كيف نقلت باللاسلكى الصور الفوتغرافية للحوادث البحرية التى جرت فى الأورجواى ، وهى الحوادث الخاصة بالبارجة « فون شبيه » وكيف رأى البرلينيون صورها ولم يمر على أخذ الصور التى يبعد مكانها عنهم بنصف محيط الأرض إلا كسر ضئيل من الثانية

ثالثاً : فى الانتشار الكهربائى استطاع الإنسان بغير أسلاك أن يسمع الأصوات ويتكلم على مسافات بعيدة تبلغ محيط الأرض بل استطاع أخيراً أن يرى عن بعد الأشياء المتحركة كما لو كانت أمامه

هذا ما حدث من الهندسة التطبيقية ، ولقد كانت خطوات العلوم البحتة أوسع بكثير من هذه ، وجرى العلم الحديث شوطاً لم تستطع الهندسة التطبيقية أن تلاصقه فيه : ثمة اكتشافان عظيمان ، النشاط الأشعاعى والتفتت الذرى . ترى ماذا سيحدثه الإنسان الدائب التفكير الموفور الذكاء فى أثرهما من تطبيقات تنشأ عنها مدنية تختلف عن مدنيتنا جدّ الاختلاف بل تختلف عن كل ما عهدناه من مدنيات .

أو يصبح عصر الكمّ والنسبية والموجية الذى نعيش فيه بداية لعصر أعظم شأواً وأهم قدراً وأعجب فى الحوادث ؟

إنما يلزم لذلك أناس أذكياء تعودوا الإقامة فى المختبرات والتردد على دور الكتب ؛ هؤلاء الذين أسميهم أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً

عند ذلك يختلف العهد ، وينظر اللاحقون لنا نظرة جيلنا لزمان ابن الهيثم . ومع ذلك وبعد الذى ذكرناه لا يجوز لنا

أن نذهب فى المبالغة شوطاً بعيداً لما حدث بعد عهده ، فإن المواد ما زالت تستعمل فى عصرنا على النحو الذى عرفه ابن الهيثم ، بل إن هندسة أقليدس القديمة ونظرياته الأربع والعشرين المعروفة التى كانت حجر الزاوية لكل معارفنا الحالية هى الهندسة ذاتها التى تعلمها ابن الهيثم وعرفها وجدد فيها ونقلها قوية مجددة للأجيال التى تلته

إن الخط المستقيم والدائرة والمثلث وعلم الهندسة وعلم المساحة وما يتعلق بكل هذا من نظريات كان لازماً لنستمتع بما نستمتع به اليوم ، وكان من اللازم وجود أمثال ابن الهيثم ليرى الإنسان بعده جاليليه ونيوتن وإلا صادف عصراً بدائياً لا يصلح للتجديد

نعم إن المعارف القديمة لم تعد تقدم لنا صورة صحيحة لهذا الكون ، وقد غدت لدينا صورة جديدة تغاير تلك الصورة البسيطة التى علمها لنا الأولون بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة ولا يزال الجامعيون يشهدون يوماً بعد يوم انقلابات فى التفكير ، ويقفون على أوصاف للكون أدق من صورته التى عهدناها حتى عصر ابن الهيثم ، بل عصر جاليليه ونيوتن ؛ فلا مادة بالمعنى القديم ، بل إن المادة جسيمات صغيرة فى حركة دائمة ، وفى هذا الكون المتكون من هذه الدقائق المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، وكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد ، والذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء ، بل لا فارق بين الطاقة والمادة ، ويمكن القول اليوم إنهما تمتان إلى أصل واحد ، بل إن المادة ذاتها كهرباء والكهرباء مادة

أجل . إن قوانين هذا العالم المضطرب باتت تختلف وفق صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن القوانين القديمة التى لم يظهر أنها صحيحة إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم ، وقد تمدى هذا الاختلاف فى فهمنا لظواهر العالم كل شيء ، حتى إن القوانين العادية الخاصة بالزمن والحيز اللذين يحكمان العالم باتت تختلف عن التى تعلمناها فى المدارس ، والحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أعوتب هو حيز معوج ، والمثلث الذى جرينا على اعتبار أن مجموع زواياه يساوى قائمتين هو فى الواقع ليس كذلك ، والخط الذى اعتدنا اعتباره مستقيماً يلتف من النهاية حول نفسه ، والكون الذى اعتبرناه لا نهائياً هو فى الحقيقة محدود ، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا التى تفتقر إلى المعرفة والتمييز

نعم قد حدث هذا كله ، ووصلنا إلى نوع جديد من التفكير والتطور ، ترى ماذا سيكون من أثر المعارف الجديدة فى الإنسان القادم ؟ ومع ذلك فإن هذا النوع من التفكير قد وصل به الإنسان إلى ما وصل إليه لأن البناء كان صالحاً ، كل هذا ترتب على هذا النحو لأن المعرفة القديمة كانت عظيمة الأثر ، ولأن ثمة رجالاً كابن الهيثم زرعوا لحصدنا ونزرع اليوم ليحصد الغير .

فى كثير من المحاضرات نشيد بذكر العلماء الحديثين الذين يساهمون فى تشييد صرح العلوم؛ وقد توجهنا فيما كتبنا هذا العام بمثل هذه التحية لكثير منهم أمثال بلانك وبيران ودى بروى ، وجدير بنا ولا ريب أن نحيى فى هذه القاعة أولئك الأعلام الذى وضعوا أساس الصرح . لهذا أتقدم فى ختام هذه الكلمة بالتحية والإجلال لابن الهيثم ، ولست أيأس من أن يقدره مجلس الجامعة قدره فيقرر إطلاق اسمه على إحدى درجات كلية العلوم

لشد ما يتزايد الميراث العلمى، ولشد ما يشتغل أنصار الإنسان!

فى مزاد للكتب كان فى القاهرة هذا الأسبوع تصفحت الكراسة التى تحوى أسماء الكتب والمؤلفين فإذا بها ما يزيد على عشرين ألف مجلد فى الأدب ، إنما لفت نظرى العدد الكبير من الأسفار للمؤلف الواحد، وقلت فى نفسى: من أين الوقت لإخراج هذا الميراث ، فلكليمنسو ١١ مؤلفاً من هذه المكتبة الخاصة ، ولدیهامل Duhamel ٢٨ ، وللكاتب موروا ٢٤ ولغيرهم الكثير؛ ولما رأيت أن لابن الهيثم ما يربو على السبعين سفراً ، وأن من بينها ما له القيمة التى ذكرها إخوانى ، أدركت حقاً أننا بصدد عالم كبير جدير بهذا الاجتماع العظيم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



الإغـــــراء!...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

زارتني سلمى مرة في مكتبي وطلبت مني أن أصطحبها إلى مكتب زوجها ، ففعلت ، ولما كنا في الشارع ، علّقت يمناها بيسراي كأن ذلك طبيعي بيننا ؛ ولم يظهر على وجهها أي استغراب لما فعلته ، وصارت إذا اجتزنا عرض الشارع من رصيف إلى رصيف احتمت بي من السيارات المسرعة ، وشدت بذراعها على ذراعي في حركة عصبية عنيفة

وصرت أفكر طويلاً ، هل بدر مني شيء يدل على رغبتي في استدراجها إلى ، لأن سلوكها معي لم يعد يحتمل الشك في رغبتها في استدراجي إليها ؟ ووقفت حائراً بين أن أفقد صديقين أحبهما حب الإخلاص الصحيح ، وبين أن أخون صديقاً ألفته منذ الصبا وأحول صداقة فتاة عرفتها متدارجة بثياب والدتها ووالدتي ، إلى حب لا أقدر مداه ولا نتيجته

وكانت كل هذه الأمور تجري وسلمى لم تحرك شفتها مرة واحدة بكلمة ملتوية ، ولا تبدت مرة واحدة في وجهي ، ولا لمست مرة واحدة يدي لمسة تحتمل تفسيراً أو تأويلاً . ولكن سرعان ما زحمتني الحوادث وبعدت بي عن تلك الحياة الطيبة التي أذكرها اليوم والأسى يملأ صدري ، والدمع يكاد يتفجر من مقلتي

أجل خاطبتني سلمى بالتليفون تقول : ألا تشرب الشاي معنا اليوم فإني بانتظارك في الساعة الخامسة تماماً لعلنا نخرج في السادسة والنصف إلى السينما

وإني اليوم بعد طول العهد لا أزال أراني نازلاً من العربة أمام باب الحديقة سائراً في الممشى القصير إلى باب المنزل أقرعه قرعة تعرفها الخادمة فتخف إلى الباب تفتحه وأدخل إلى القاعة التي ألفت كل أثاث من مفروشاتها . فهذه مقاعدها المذهبة وحريرها الأحمر المجزع بالبياض ، وهذه خزانة البلور التي حفلت بقطع النفائس التي يتأنق عزيز في اقتنائها ، وهذه مائدة الرخام المستديرة عليها طاقة الورد الصناعي ، وهذه الرسوم المعلقة التي أعرفها وتعرفني ، وأحسن ما فيها صورة سلمى الزيتية متقنة كل الإتقان أما صورة عزيز ففيها سطور غامضة والنور منعكس عليها من فوق يمينها وجب على الرسام أن يعكسه عن اليمين ، وطالما تناقشنا في هذا الرسم وبحثنا في نظرية النور والمنظر . وهذا صندوق اللفائف مصنوعاً من الآبنوس الملبس بالأصداف أتناول منه واحدة أشعلها وأقف أمام النافذة المطلة على المحمودية أنظر مياهها الكدرة المتدفقة إذ كنا في أول سبتمبر وفيضان النيل على أشده

نعم لا أزال أفكر في هذا كله كأني أراه الآن ماثلاً أمام عيني. ثم طال انتظاري فقرعت الجرس وجاءت الخادمة ، فقلت لها: أين الجماعة ؟... فأجابت : إن سيدتي ترتدي ثيابها، وأما الأستاذ فقد ذهب منذ هنيهة. ثم نظرت إلى الخادمة نظرة لم أرتح لها. وما هي إلا ثوان معدودة حتى جاءت سلمى يموج جسمها في دثار ياباني تد التفت به حاسرة عن ذراعيها وصدرها . وقد صففت شعرها

وعقصته بمشط لين العاج قد انتظمت على حافته حجارة مبرقة ، وأصلحت من شأنها في كثير من الاختصار والانسجام . فما أن رأتني حتى مدت إليّ يدها مصافحة ، وقالت وهي تبتسم عن مثل اللآلئ صفاء : عذراً لما جرى مالم يكن في حسابي ، فإن عزيزاً قد استدعى فجأة لأمرهام وهو يأسف لأنه لا يعود قبل الساعة الثامنة . وقد أوصاني أن أحتبسك حتى عودته لنصل جلسة بعد الظهر بالسهرة ...

ولم أجد غرابة في هذا كله بل وجدته طبيعياً وقلت لها : لعلك لولا حضوري كنت تخرجين مساء . قالت : لا وحقك إني متعبة فاجلس نثرثر قليلاً ...

وأخذنا في حديث عن الفيضان والبعوض ، وكانت سلمى تقول إنها لم تعد تطيق السكنى في هذا المنزل وإنها سوف تنتقل إلى ضاحية الرمل حيث أكثر الأصدقاء والمعارف، ثم اندفعت في امتداح ضاحية الرمل بينما كانت الخادمة تحضر مائدة الشاي ، فأصبت كوباً منه وأكلت قطعة من الحلوى ، وقدمت إلى سلمى لفافة من التبغ شرعت في تدخينها ، وقد قامت وقعدت مراراً تستحضر إما منديلاً أو صحفة أو ملعقة ، ورأيت في تثنيها شيئاً من التصنع والارتباك ، ثم نادت الخادمة وقالت لها : إنه يمكنها الانصراف على أن تكون في المنزل في حدود الساعة الثامنة

وشدت سلمى ثوبها على جسمها ، وقعدت بجانبي ، فصور الثوب أعضاء جسمها تفصيلاً ، وهبت منها رائحة عبقة تغلغلت في دماغي ، ثم مدت ذراعها وألقتها على ظهر المقعد ورائي دون أن تمسني ، ونظرت إليّ نظرة كدت أستريب منها وقالت : ما رأيك في كأس من الكونياك ؟ ولم تتم كلمها حتى وثبت إلى غرفة الطعام ، وفتحت خزانة واستحضرت منها زجاجة وهي تقول : إن هذه الزجاجة تزعم أن هذا الكونياك كان شراب نابليون

فضحكت وقلت : ونحن الآن نقلد نابليون بشربه وسكبت لي كأساً ومثلها لنفسها فشربنا وقد تذوقت الكأس وأعجبت بجودة الصنف فعلاً ، أما هي فترشفت نصف كأسها ، ثم سكبت لي الثانية

وقد جرى هذا كله في سهولة وبساطة ، وسلمى تقول : إن خياطتها أصبحت من الطمع بحيث صارت تفكر في استبدالها وقالت : إنها خاطت لها قميصاً من الحرير هو هذا الذي تلبسه — ثم كشفت دثارها عنه فإذا به يضم نهديها إلى ركبتيها في تموج عريب — وإنها تقاضت منها أجرة وكلفة لا يحتملها القميص .

وكنت تجرعت الكأس الثانية فسكبت لي كأساً ثالثة رفضتها رفضاً قاطعاً لكنها لم تصغ إليّ . ومضت في حديثها عن القميص بينما أخذت أتمصص الكأس ، ثم وقفت أنظر إليها مصغياً إلى حديثها أقول : أنتن السيدات لا تعرفن اهتماماً إلا بهذه الخرق الحريرية . . . فقالت : ألا يعجبك حرير هذا القميص . فابتسمت ، فإذا بها واقفة حيالي فاترة العينين ملتهبة الخدين ، ثم رفعت ذراعها إلى جبينها وهي تقول : لا أدري ما بي ... لعل هذا الكونياك قد دار رأسي به . فقلت : لا عليك اجلسي . ولكنها تثنت قليلاً وقالت كأنها تريد أن تصيح : فريد ! فريد ! اسندني إليك . . .

فذعرت كل الذعر، وما أن أسندتها إليّ حتى استرخت بين يدي وضمتني إليها متعلقة بي متثاقلة بجسمها عليّ وأنا أدفع بها في لطف وتؤدة حتى أجلستها على المقعد وقد تلاصقت بي تلاصقاً غريباً وشدتني إلى صدرها شداً عنيفاً

وأردت أن أهرع إلى حيث أستحضر لها كوباً من الماء ، ولكن تعلقها بي منعني من ذلك . ولا أدري لماذا خطر لي في إبراق عجيب ذاك الحادث الذي حدثني به زوجها عن تصنع الإغماء . فرأيتني في موقف مدهش يقتضيني بتاً سريعاً : إما الخيانة ومسايرتها أو القطيعة والجفاء . وكان دمي يفور ويغلي والعرق يتصبب مني ولا أعرف كيف ولا لماذا قلت لها :

— إياك أن يغمى عليك ، فإني حينئذ أستدعي لك الأسعاف .

ولا شك أنها سمعت كلامي، لم تأبه له وحسبت أكبر حساب لغريزة الرجل فأصرت على إغمائها. وتلطفت في التماس منها وتباعدت عنها ونسيت الماء والكوب والأسعاف وبقيت واقفاً حائراً، وسلمى قد فتحت دثارها وكشفت قميصها وزاد خفقان صدرها ثم أنّت قليلاً في خفوت واختناق ثم لزمت الهدوء

فأشملت لفافة من التبغ وسرت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا لا أعي ما أطأ حتى عيل صبري. وكلما طال انتظاري وتمادت في غيبوبتها كان الغضب يطرد في صدري وتقوى عوامل الشرف والصداقة والإخلاص، حتى رأيتني واقفاً أقول:

— هذه مهزلة مألوفة وليس مثلك من يمثلها مع مثلي. ونحن أصدقاء العمر فقد أخطأ حسابك، وإذا كنت أتقنت مثل هذه المهازل فجربيها مع سواي

وإني لأذكر تمام الذكر أن سلمى انتفضت عن مقعدها كالنمرة الضارية، ثم لمّت دثارها والتفت به ووقفت في وجهي تلهث من الخيبة وتحدجني بلحظ يتقد غيظاً وقالت وهي تتلظى غضباً:

— أنت رجل مغفّل

***

واليوم إذ أستعيد هذه الذكريات أحاول عبثاً أن أستبين كيف مضت الأيام التي تلت هذا الحادث وكيف نزلت بي حمى شديدة استوجبت نقلي إلى المستشفى حيث قضيت أشهراً بين الموت والحياة علمت بعدها أنه لم تعدني فيها سلمى ولا زوجها. وقد فتّت الحمى في عزيمتي وغادرتني شائب الرأس مهدوم الجسم؛ وهأنذا اليوم بعد خمس سنين أراني قد انحدرت بي السن أشنع انحدار وتوغلت في الكهولة أيما توغل.

وفي كل هذه المدة لم تقع عيني على الأستاذ عزيز سامي ولا على زوجته سلمى، ولكنني لا أزال أذكر والأسى يملأ صدري والدمع يكاد يتفجر من مقلتي أنني كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامي ولزوجته سلمى

(الأسكندرية) خليل شيبوب

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشر من تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن فآثار الهياكل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التي أهملوها لا تزال برهانا على ذلك.

ولا داعي للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائي بقساوة فأن أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها في الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيراً من تفشي هذا الوباء وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لا تدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض.

ففي سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد «د هامابو» قد اجتاحت الحيات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على مايؤكده الرواة في سيلان بحجة أنهم عجزوا من أن يزرعوا الأرز وقد نتج من ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذي الجوائح وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد.

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجوائح كما يقول الرواة وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من السكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جمعية الأمم تتلخص في تطبيق العلاج السريع بالسكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٠ مليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الحيات.

من هنا ومن هناك

هتلر والهتلرية

[من تقرير السفير البريطاني ببرلين « سابقا »]

ظهر الهر هتلر والاشتراكية الوطنية نتيجة لهزيمة أمة كبيرة في الحرب وما تبع هذه الهزيمة من الفوضى واليأس. والاشتراكية الوطنية في ذاتها ثورة، وهي كذلك مذهب في الفلسفة الوطنية وعلى النقيض من الديمقراطية التي تجعل الحكومة خاضعة للجمهور تقوم النازية على جعل الجمهور تابعاً للحكومة خاضعاً لها بل للفرد الوحيد الذي يدير دفتها

كان العالم خارج الحدود الألمانية، لا ينظر إلى الاشتراكية الوطنية بكثير من الاهتمام ما دام أمرها مقصوراً على داخلية البلاد. وكان بعض الناس يذهبون إلى نقد صاحب هذه الحركة وبعضهم إلى استحسانه وبعضهم يراقب حركاته بشيء من القلق؛ ولكن الحكومة الألمانية كانت على الدوام شأناً من شئون الشعب الألماني وحده. فلما انتقلت نظرية الوطنية الألمانية خارج الجبهة الألمانية بدأت الفلسفة النازية تبرز رأسها خارج حدود السلام

ومن الجهل أن ننكر الإصلاحات التي قام بها ذلك الرجل الذي يقود ألمانيا اليوم داخل بلاده. إلا أن الوسائل الظالمة التي اتبعت في سبيل تنفيذها كانت مما يمجه الذوق الإنساني، وإن كانت لا تهم أحداً غير الألمان

ولم يكن ضم النمسا والسوديت الألماني هو الذي أثار شعور الكراهية ضد الهر هتلر، وحرك ضده الرأي العام في جميع أنحاء العالم. فإن العالم الذي ذاق مضاضة الحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ كان على استعداد لاحتمال ذلك. فقد كان منتظراً أن تنضم إليه تلك البلاد طائعة مختارة ولا يمس السلم بشيء. إلا أن هتلر لم يكن ليقبل الاعتراف بحقوق الغير التي يريد أن يغتصبها لألمانيا ... والثورة آلة طائشة، إذا تحركت لا تقف، حتى تصل إلى الغاية التي تتحطم عندها. والتاريخ وحده هو الذي سيقول إذا كان في مقدور الهر هتلر أن يسير بالنازية في الطريق المعتدل القويم، أو أنه كان ضحية الحركة التي بدأها، أو أن نوعاً من جنون العظمة هو الذي دفع به إلى تلك الغاية التي كانت المدنية على استعداد لمجابهتها

خلقان لا يفارقان طبيعة الألماني: عجزه عن إدراك أمر من الأمور إلا من وجهة نظره الخاصة، وقصوره عن فهم معنى الاعتدال

إن مأساة الدكتاتور كائناً من كان، هي أنه بتقييده حرية الرأي، يفقد معونة خير رجاله وأصلحهم، وأنه لا يحتمل معارضة أي إنسان. فكل من وهبهم الله شيئاً من الشجاعة لإبداء آراء مخالفة لوجهة النظر التي يراها، يضحي بهم واحداً بعد الآخر، حتى يصبح وليس معه إلا بعض الأفراد المتملقين الذين لا يعرفون غير كلمة « نعم » في سائر الأحوال

وإذا كان الدكتاتور يتأثر إلى حد ما بمن يلتفون حوله، فإن الهر هتلر لا يعتمد إلا على رأيه في كل ما يتوجه إليه. وقد قال لي « الفيلد مارشال جورنج » ذات مرة: نحن عند البت في أمر من الأمور لا نكون إلا كالحجر الذي تقف عليه الآن، فالفوهرر وحده يرجع البت في كافة الشؤون ...

يجب أن يتحرر التشيك

« لماذا يجب أن يتحرر التشيك؟ »: هذا عنوان رسالة للاتحاد الوطني التشيكوسلوفاكي بأمريكا جاء فيها: التشيكوسلاف أمة قديمة في أوربا، يرجع تاريخهم إلى العصر المسيحي القديم. وهم جزء من ذلك العنصر السلوفي الذي حكم أواسط أوربا يوماً ما، وامتد ملكه إلى حدود نهر الألب وجبال الألب من الناحية الغربية، وبحري البلطيق والإدرياتيك من ناحيتي الشمال والجنوب ...

والثقافة التشيكية تعادل أرقى الثقافات التي ظهرت في قارة أوربا. فقد أتيح لها أن تجمع كثيراً من المدنيات العظيمة، فحملت شجرتها للعالم ثمار المدنيات البيزنطية والألمانية والفرنسية وللتشيك أثر عميق في المدنية الأوربية، وعلى الأخص العصور الوسطى وفجر العصور الحديثة، وقد كان الشعب التشيكي فيما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر عاملا هاما في حمل رسالة القرون الوسطى، وكان ملوك « التشيك » رءوس الامبراطورية

الرومانية المقدسة، ولهذه المملكة الفخر فى إنشاء أول كلية فى أواسط أوربا؛ ولمركزها الممتاز بين مختلف الدول كان لها أعظم شأن فى عالم التجارة وبيوت الأموال؛ وقد انتعشت فيها الفنون والعلوم بانتعاش الحالة المالية وتوفر أسباب الترف والعيش الرغيد للأهلين

كان التشيك فى القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر أبطال حرية الفرد وأنصار الديمقراطية الصحيحة . وكان (جورج بودراد) ملك التشيك ، يدعى دائماً لفض الخلاف الذى يقع بين الألمان أو السادة المتجاربين ، وكان فى مقدمة رجال السياسة الأوربية الذين يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى لحمى السلام من الأفراد والممالك ، وإيجاد رابطة قوية منهم لحماية القانون والنظام العام

ولما فقد التشيك حريتهم فى عام ١٦٢٠ نجحوا فى الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وتقاليدهم على الرغم من المظالم التى أحدقت بهم . وقد أخرجوا إلى العالم فى تلك الفترة المظلمة فى تاريخهم (كومنسكى) المشهور ، وهو من أكبر رجال التربية الذين عرفهم التاريخ

ولما كان القرن التاسع عشر وضع التشيك لأنفسهم مبادئ عملية لنيل حقوقهم السياسية والوطنية وكانت الديمقراطية والسلم رائدهم فى كل الخطوات، وقد برهنوا دائماً على مقدرتهم على حكم أنفسهم . وكانوا على الدوام أصدقاء مخلصين وجيرة مسالمين . عرف عن بلادهم أنها ترحب دائماً بالمظلومين والمضطهدين الذين يأوون إليها من البلاد الأخرى

فالتشكوسلافيون ليسوا حديثين فى أواسط أوربا ، ولهم حضارة قديمة لا تنكر وأثر خاص فى الثقافة الأوربية على وجه العموم ؛ وقد برهنوا فى حياتهم القديمة وحياتهم الحديثة على مقدرتهم على السير إلى الأمام، والتغلب على القوى المنافسة. وساروا خطوة خطوة مع تقدم الحالة الثقافية والسياسية فى أنحاء العالم . وجعلوا مبادئ مزاريك الإنسانية أساساً لمعاملاتهم فيما بينهم ومابينهم وبين العالم ، وهى مبادئ تقوم على حب الخير والشرف والتواضع

الرجل الذى يرهبه هتلر

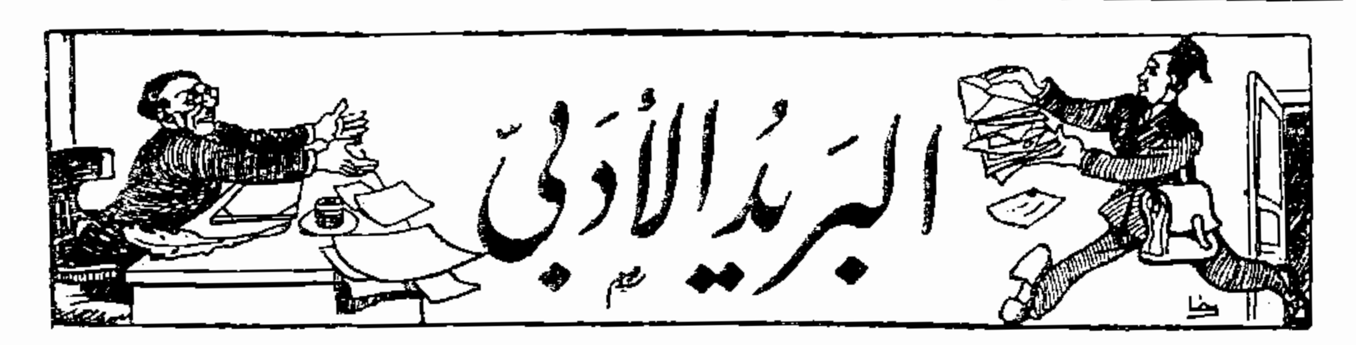
[عن «ورلد مجازين»]

من هو الشخص الذى يسند بيده الحديدية عرش هتلر ويحمل وزر تلك الأعمال القذرة ، من هو الشخص الذى يدير دفة الحركة النازية فى الحياة العملية ؟ الجواب : هو هنريك هملر رئيس قوة (الجستابو) الرهيب (البوليس السرى) و (الجستابو) ذلك الجيش المدنى المتسلط على الأهلين فى ألمانيا بجواسيسه ورجاله السفاحين ، قد جعل من رئيسه (هنريك هملر) أكبر الطغاة الظالمين فى العصر الحديث . وقد تبوأ هملر مركزه من العصابة الهتلرية حين استولى هتلر على الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ وكان إذ ذاك فى الثالثة والثلاثين من عمره ، ومنذ ذلك الوقت وهو منساق فى تيار الظلم والإرهاب بغير هوادة أو تردد

فقام بعملية التطهير فى الحزب النازى ، وقضى على الرئيس الأعلى للجيش ، وسلط النار والحديد على اليهود . فإذا نظرنا إلى أعماله وأنعمنا النظر قليلاً فى تاريخه الحافل بالمخازى لم نشك مطلقاً فى أنه يضرب بسهمين على الدوام ، فقد كان والده مدرساً بمدرسة كاثوليكية فى ميونخ وتربى تربية كاثوليكية واليوم هو يحارب الكنيسة الكاثوليكية بغير رحمة ، ويضطهد رجالها بغير وازع أو رادع ، إلى درجة لا يجاريه فيها رجل فى أوربا غير ستالين

وقد تطوع فى الحرب العظمى سنة ١٩١٧ ، ولكنه عمل على أن يكون دائماً بعيداً عن خطوط الدفاع . والتحق بجماعة هتلر — التى كان نصيبها السقوط — عام ١٩٢٣ ، ولكن سرعان ما ابتعد عن ناحية المخاطر ، فلم يدع للمحاكمة ، وكان أول عمل كبير التحق به هو اشتغاله سكرتيراً خاصاً «لجرجورسترسر» ، وقد أثنى هذا على مواهبه ، وتوسط إلى هتلر فى تعيينه رئيساً لفرقة من القمصان السود ، فلما كانت سنة ١٩٣٤ صوب فريق هذه القمصان رصاص بنادقهم إلى صدر سترسر بأمر هملر فى «حمام الدماء» المعروف ... وقد كان «روهم» صديقاً حميماً له فى فرق العاصفة ، ولكن هملر كان الرجل الذى نفذ إطلاق الرصاص على روهم تحت إشرافه فى «ليلة الدماء»

وقد عينه هتلر لتأليف فرقة قوية ، تقوم تحت إشرافه لحمايته شخصياً فلم ينته ذلك العام حتى كان لديه ١٠٠٫٠٠٠ رجل لهذا الغرض . وقد أسس هملر فريق (الجستابو) بعد ذلك ونظم له المسكرات وأعده بالمعدات . وأوجد للرايخ منه ١٣٨٫٤٧٠ رجل عام ١٩٣٣ ، وبلغ عدد الرجال الذين هم تحت إمرته اليوم ٤٣٧٠٠٠ رجل بنسبة رجل لكل ١٣٥ نفساً من سكان ألمانيا. وللجستابو قوة قاهرة فى حياة ألمانيا اليوم ، فلا يخلو من رجالهم ناد ولا يخلو منهم مصنع . وينبث بوليس (الجيستابو) فى المصالح والوزارات بما فيها وزارة الحربية ووزارة الخارجية ، وتصدر عنه التقارير إلى هملر كل يوم . مثل هذا الرجل لا غنى عنه للدكتاتور ما دام قائماً بواجباته ، ولكن هملر معروف بأنه يضرب بسهمين على الدوام ، فإذا انقلب على زعيمه أصبح الأخير فى مركز لا يحسد عليه . وهذا ما لا يجهله هتلر الآن



في شمال فنلندة

كان ذلك في « الزمان الطيّب »، في عهد « الشباب الرّيق ». فررت من مصر في شهر يونية لسنة ١٩٣٤ والحرّ يفتك بالقرائح، أقصد إلى ألمانية، ومنها إلى بلدان الشمال. وبعد إقامة قصيرة بأسطونية صعدت إلى هلسنكي عاصمة فنلندة، ومن هناك أخذت أتنقل في نواحي الشمال بين البحيرات والغابات حتى (بتسامو) عند بحر الشمال الجامد.

ولن أحدثك هنا كيف هزّتني تلك الطبيعة الغريبة، فلي في ذلك كلام يطول. وإنما أريد أن أروي لك قصة أظنها لطيفة، فأنقلك معي متخيّلاً إلى بلد هو حديث اليوم في كل مكان، ردّ الله عنه كيد الظالم العاتي!

الكاتب إلى المائدة في الفندق عند بحيرة في منطقة بتسامو حيث يجري القتال اليوم

في الطريق الخارج من هلسنكي إلى الشمال عدد من الفنادق ينزل فيها السياح يوماً أو أكثر من يوم. ونزلت مع غيري في فندق نطلب العشاء والنوم؛ فجلست أرقب موعد الطعام وأنا أتصفح الملحمة الفنلندية الشعبية « كاليفالا Kalevala » في ترجمة فرنسية. وبينا عيناي في الكتاب إذا فتاة تذهب وتجيء وفي يديها أطباق وأكواب تنضدها على مائدة مبسوطة. وكانت كلما دنت مني تمهل في لطف وترسل إلى الكتاب نظرة أو نظرتين؛ ولما فرغت من عملها أتتني فقالت: عفواً! أتقرأ « الكاليفالا »؟ قلت: نعم، إني أحبُّ أن أطّلع على هذه الملحمة الخارجة من غاباتكم وبحيراتكم وهضباتكم. قالت: أتعلم قصتها؟ قلتُ: أعلم أن (إلياس لونروت) Elias Lönnrot جمعها ونشرها. قالت: هل تحب أن أعلمك القصة كلها، فهذه الشمس لم تمل بعدُ؟ قلت: بالله اجلسي وخبريني

فروت لي الفتاة كيف خرج (لونروت) إلى فيافي منطقة (كاريليه) فمكث فيها زمناً يدوّن أغاني المنشدين حتى استقامت له عناصر الملحمة فربط بعضها ببعض وفضل رواية على رواية وأسقط الضعيف والمُعاد والتافه. إلا أنه أقام الملحمة ونظر فيها وسوّاها كأنه أحد أولئك المنشدين لاتصاله بهم واستقائه منهم. ثم أخذت الفتاة تحلل لي خصائص « الكاليفالا »، وجعلت تصف وتبيّن وتستطرد وتعارض في منطق عجيب ودراية نادرة، حتى إنها ذهبت في الموازنة بين طائفة من أغاني الملحمة وأسطورة أرفيوس الإغريقية. فما كادت تتم حديثها حتى سألتها: من أين لك كل هذا العلم؟ قالت: إني دكتورة في الآداب من جامعة هلسنكي، وإنما أجيء هنا في الصيف أطلب الراحة فأخدم في الفندق فأدفع بذلك ثمن ما أطلبه وعلى هذه الحال كثير من زميلاتي

وهنا كان موعد العشاء. فجلست إلى المائدة. وما كانت الفتاة تأتيني لتقضي لي حاجة إلا نهضت أمنعها. فتقول: لِمَ تمنعني من أداء الواجب؟ أنا هنا لأخدمك. فأقول: لا أدع دكتورة في الآداب تخدمني، فتضحك من حيائي.

الكاتب وفتاة الفندق

قد كنت نويت فى ذلك اليوم أن أبيت الساعة التاسعة فلم أغمض عينى قبل الواحدة . كرّت الساعات وأنا يقظ أستمع إلى أحاديث الفتاة؛ فوقفتنى على تاريخ الثقافة الفنلندية وهو قصير؛ ولم تترك باباً إلا طرقته : موسيقى وتصوير ونحت وأدب وفلسفة.

وكنت أجاذبها الحديث كلما أجرته فى جانب لا أجهله . من ذلك أنى شرحت لها كيف تباعد (وستر مارك) العالم الاجتماعى الفنلندى عن الواقع عند كلامه على « المهر » عند العرب فى كتابه : « نشأة المعانى الأخلاقية وتحولها » إذ يرى أن المهر إنما هو تعويض للأب مما بذله فى سبيل تنشئة ابنته

حدثتنى الفتاة عن استواء الثقافة الفنلندية القومية بفضل الموسيقى Sibelius ، والمصور Edelfelt ، والمهندس Paariren ، والقصّاص Sallanpää . وهنا وقفتنى على دقائق الطبيعة الفنلندية ، فتذاكرنا قصة (سالانبا) : « البؤس القدسى » وراجعنا ما فيها من بساطة جليلة وقوة مطمئنة وبصيرة وقّادة

ولما فرغت من حديثها قالت : أحب أن أخبرك بشىء لعلك أن تجهليه . قالت : أيتصل بأمر وطنى ؟ قلت : نعم . قالت : أى شىء يكون ؟ قلت : إن أول كتاب بُسطت فيه جغرافية فنلندة إنما كتب باللغة العربية وصاحبه الشريف الإدريسى واسمه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ؛ وقد نشره من أربع سنين مستشرق من عندكم اسمه (تلجرين توليو) . قالت : وما أدرى العرب بنا ؟ قلت : سمعت رفيقة لك تدعوك سلمى . قالت : هذا اسمى . قلت : هو اسم عربى ولديكم غيره . إن فى نسائكم من تسمى سليمى وعدلة وسوسانة، وفى رجالكم من اسمه: ألى وأمر وسالم. قالت : هذا حق ! قلت : ذلك زمان اتصال من طريق التجارة . وهذا زمان اتصال من طريق الثقافة . مساء الخير ! وانصرفت . وإذا الفتاة تجعل على الحاكى أسطوانة للموسيقى (سيبيليوس) اسمها : « فنلندا » أصبت فيها وأنا أعرج فى السلّم كآبة تلك الفيافى المترامية وبطء تلك الثلوج المنسابة فى بحر يريد أن يجمد

بشر فارس

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

كتب الأخ الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يعقب على الكاتب الذى أشاد بذكر الشاعر العبقرى على محمود طه وينحى عليه باللائمة أنه نسى كثيراً من الشرقيين الذين وصفوا الطبيعة الغربية فى شعرهم

وإنى أعتقد - ومعى كثير - أن وصف طبيعة الغرب ليست موضع فخر للمصرى ولا للشرق ولا تشرفهما فى كثير أو قليل

وإنا لفى حاجة إلى الشاعر الذى يشيد بذكر مصر خاصة والشرق عامة . ومصر - بحمد الله - جميلة ساحرة ، والشرق كذلك جميل فتان

فمتى ينقل شعراؤنا الغربيون - رحمهم الله - معازفهم ومزاهرهم ونايآتهم من لندن وباريس وروما ، إلى القاهرة ودمشق وبغداد ، حتى يعيدوا إلينا عهد بنتاءور ، والبحترى ، وشوقى وغيرهم من أساطين الشعر فى الشرق . ورحم الله شوقى إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

محمد عبد المنعم سالم
مدرس بمدرسة الخديو إسماعيل بالاسكندرية

مجلات الاستشراق فى ايطاليا

(١) مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Studi Orientali

تعتبر هذه المجلة العلمية أكبر مجلات الاستشراق فى العالم ، يصدرها أساتذة المدرسة الشرقية فى جامعة روما ، ويقوم بإدارتها كبير المستشرقين الإيطاليين البروفسور مجلنجلو جويدى ، مدير المدرسة الشرقية وأستاذ الأصول الإسلامية فى جامعة روما ومدير المعهد الشرقى فى نابولى وعضو المجمع العلمى الإيطالى

ونشرت هذه المجلة أقوم المباحث العلمية فى الاستشراق لجميع المستشرقين الأوربيين

ومن أهم مباحث أعداد هذا العام ١٩٣٩ المجلد الثامن عشر : فى تفسير جميل بثينة للأستاذ فرنشكو جبريلى أستاذ اللغة والآداب العربية فى جامعة روما

والقصيدة فى الفقهاء لموسى بن عبيد الله بن خاقان : للدكتور باولو بونسكى .

(٢) الشرق الحديث (Oriente Moderno) وهى مجلة شهرية فى الاستعلام والدراسات لتعميم معرفة الشرق ولا سيما الإسلامى يقوم بنشرها « المعهد الشرقى » بروما

وقد أسسها المستشرق الكبير المرحوم نالينو وقام بإدارتها مدة ١٨ عاماً حتى وفاته ؛ وقد خلفه فى الإدارة الأستاذ أتورى رومى ، أستاذ اللغة والآداب التركية فى جامعة روما

وتبحث هذه المجلة ذات المكان الممتاز فى جميع أوساط الاستشراق عن جميع ما يهم حياة الشعوب الشرقية الإسلامية وتنشر كل شهر مختصراً عن الحوادث السياسية والاقتصادية والثقافية فى البلاد الشرقية ، ولا سيما العربيــة ؛ وتنشر جميع الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه البلاد . ونذكر هنا بعض أبحاثها فى هذا العام (المجلد التاسع عشر) :

الحقيقة فى مسألة قناة السويس للدكتور انجلو سنمركو . تاريخ نهضة الشعوب العربية فى كتاب حديث لجورج أنطونيوس للمستشرقة فرجينيا فكا . حوادث تركستان الشرقية الأخيرة للبروفسور اتورى رومى . الحركة الوطنية فى منطقة المغرب الأقصى الفرنسية للبروفسور اتورى رومى

(٣) المجلة الشرقية الحقوقية (Rivista giuridica del Medio ed Estremo Oriente)

وهى مجلة حقوقية تبحث فى العلوم والحقوق والتشريع ويديرها المحامى فنشنزو ناورمينا . وهى مجلة شهرية فى عامها الرابع تتناول فى أبحاثها الحقوقيــة ما يتعلق بالشرق المتوسط والشرق الأقصى والمستعمرات . ثم يلى ذلك باب الأخبار التشريعية والحوادث فى الشرق فالباحث العلمية . وهذه المجلة فريدة فى نوعها فى أوربا (من النشرة الشهرية لمحطة بارى)

عدد سكان الأرض

نشرت عصبة الأمم إحصاء بعدد سكان الكرة الأرضية، وهو إحصاء ناقص، لأنه لم يشتمل على التعداد الصحيح لسكان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية واستراليا . ويتضح من ذلك الإحصاء أن عدد سكان الكرة الأرضية ملياران و ١٣٤ مليون نفس .

وفيما يلى تعداد بعض البلاد :

الصين ٤٥٠ مليوناً — روسيا ١٧٨ مليوناً — الولايات المتحدة ١٣٠ مليوناً — ألمانيا ٧٩ مليوناً

اليابان ٧٢ مليوناً (يضاف إليهــا ٣١ مليوناً عدد سكان الأراضى الملحقة بها)

بريطانيا العظمى ٤٧ مليوناً (يضاف إليها ٤٩٥ مليوناً عدد سكان مستعمراتها والملكات الحرة)

إيطاليا ٤٣ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٨ ملايين فى مستعمراتها)

فرنسا ٤٢ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٧٥ مليوناً فى ممتلكاتها وراء البحار)

بلجيكا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ١٤ مليوناً فى مستعمراتها)

هولندا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ٦٧ مليوناً فى مستعمراتها)

البرتغال ٧ ملايين (ويضاف إليها أكثر من ١٠ ملايين فى مستعمراتها)

وقد رؤى بعد الحساب أن عدد سكان الكرة الأرضية قد زاد فى خلال سنتين ١٨ مليوناً ...

تصويب

ورد البيت الآتى فى مقال الخوارزمى والبديع هكذا :

لا تنزلنَّ بنيسابور مغترباً إلا وحبلك موصول بإنسان

وصحته : إلا وحبلك موصول بسلطان

علي الجندي

أصل النور

يبحث كثيرون عن أصل النوَر (الغجر) وكيف وصلوا إلى أوربة فلا ينصرفون من بحثهم إلا بالعجز . وقد وقع لى فى بعض مطالعاتى رأى استنتجته من نصوص التاريخ لعل فيه حل هذه المشكلة

فى كتب التاريخ عند الكلام على فتنة الزُطّ (وهم النور) فى البصرة ، أن أصلهم من أواسط آسيا (غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا فيها ، وأفسدوا البلاد) إلى أن تغلب عليهم قائد المعتصم (عجيف بن عنبسة) واضطرهم إلى التسليم فوجد عدتهم نحو ثلاثين ألفاً بين رجل وامرأة وصبى ، فنقلوا بأمر المعتصم إلى قرية من قرى الثغر فلبثوا فيها إلى سنة ٢٤١ هـ فأغار الروم على القرية وأسروهم جميعاً فاستاقوهم معهم

فهل يمكن أن يكون انتقالهم إلى أوربة من ثمة ؟

هذا افتراض ، ولعل فى أهل هذا الفن من ينتدب لبحثه وقبوله أو رده ... ع . ط

قصر هشام بن عبد الملك ونقله الى الشام

من أجل الآثار العربية التى تمكنت دار الآثار فى الشام وبعثات التنقيب من كشفها فى ديار الشام ، القصر العربى الأموى الجميل الذى عثر عليه فى طريق تدمر ، وعرف أنه

« قصر الحير » أو قصر هشام بن عبد الملك

وقد نقل هذا القصر من المكان الذي كشف فيه إلى متحف الآثار في دمشق ، حيث يتوفر المهندسون والعمال على وضعه كما وجدوه دون أن ينقص من بنائه وحجارته وزخرفه وكتابته قليل أو كثير . وقد خصصت لهذه الغاية مبالغ كبيرة من ميزانية متحف الآثار أنفقت عليها حتى الآن ثمانية وثلاثون ألف ليرة سورية

وقد تم بناء نصف هذا القصر ، والأعمال لا تزال مستمرة لإنجاز نصفه الثاني

وشغلت المساحة التي يستوعبها هذا القصر مكاناً لا يقل عن مساحة متحف الآثار كله .

حول ابن تيمية وابن بطوطة

إتماماً لكلمتي المنشورة في (الجزء ٣٣١ من الرسالة الغراء) وتأييداً لما ذهب إليه الدكتور عبد الوهاب عزام في (الجزء ٣٣٠) حيث قال : « لا أجد ما يحملني على تكذيب ابن بطوطة في أمر يدعي أنه رآه وسمعه » ، أنقل ما أورده العلامة النقاد ابن خلدون في مقدمته (في الصفحة ٨٩ من طبعة بولاق) :

واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة ، وذلك أنه ورد المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة (عاصمة) ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه ، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه ، وكان له منه مكان ، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ؛ ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان . وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون ... وأمثال هذه الحكايات ، فتناجى الناس بتكذيبه . ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه ؛ فقال لي الوزير فارس : إياك أن تستنكر مثل هذا بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس ، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها ؛ فقال له أبوه : هذا لحم الغنم ، فقال : وما الغنم ؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول : يا أبت تراها مثل الفأر ؟ فينكر عليه ويقول : أين الغنم من الفأر ؟ وكذا في لحم الإبل والبقر ، إذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر . وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب ... إلى آخر ما أورده ابن خلدون

سيف الرحمن الحلبي

تحقيق

قرأت للأستاذ عبد المتعال الصعيدي مقالة : بين الأستاذين أحمد أمين وزكي مبارك ، ولقد استوقفني فيها شاهد جاء به من الحديث في ذم الشعر إطلاقاً إذ يقول : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً . وما كنت لأبدي أو أعيد لو أن الحديث صحيح، أما وهو غير ما ذكرت فإني مورد هنا قصته

فقد جاء في رسالة « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » أن أبا هريرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً » ولما بلغ السيدة روايته ارتاعت لها وقالت : « لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به » وهكذا أنقذت السيدة — رضي الله عنها — بسعة علمها ودقة روايتها ثروة طائلة من الكلام الجميل حرمها أبو هريرة — غفر الله ورضي عنه — رواية الحديث ناقصاً !

والغريب أن كثيراً من العلماء ، يولون وجوههم شطر هذا الشطر من الحديث يستشهدون به في ذم الشعر ! وما جنى الشعر ولا جنى الشعراء ، وإنما بغض الشعر إلى النبي ، لأنه يجري وراء الخيال ، وأن الشاعر يقول ما لا يفعل . فأما النبي فقد اتخذ من الحق نوره ، ومن الحقيقة غايته ، ومن أجل هذا ولد ، وكذلك عاش ، وهكذا مات .

عبد الرزاق أمانه الدين

(رجع) في مقالي السابق في كتاب الامتاع والمؤانسة (الرسالة رقم ٣٣٧) وقع سهواً : ص ٢٣٢٤ ع ٢ س ١١ : يعني . ، والصواب متى ؟ ص ٢٣٢٥ ع ١ س ١٤ . الحنية ، والصواب : الحنفية — ع ٢ س ١ : العبارة . لغير ، والصواب : العبارة لغير — س ١١ : العائبة والصواب : العائبة » — ص ٢٣٢٦ ع ١ س ١٣ : وقد جاء « السايل » ، والصواب : وقد جاء « السيال » و « السايل » .

(ب . ف)



رحـــلات

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه رحلات وأسفار ، صور شاهدها قلم مبين ، وناهيك بقلم يحمله الدكتور عبد الوهاب عزام

وقراء الرسالة لا شك يعرفون الدكتور الفاضل باحثاً مدققاً وعالماً متمكناً ، وناقداً بارعاً ، ورجلاً تتمثل كل معانى الرجولة فى أخلاقه وفى سلوكه ، ولكن قلّ فيهم من يعرفه شاعراً موهوباً من الطراز الأول ، يستطيع أن يجرى فى الحلبة فيسبق ، لأنه رجل لا يحب أو قل لا يحسن الإعلان عن نفسه ، فهو يجاهد ويجاهد حتى يرضى بالجهاد ربه ونفسه ، ثم لا يعنيه بعد ذلك مأرب ، فيرضى من الغنيمة بالإياب

وشاعرية الأستاذ عزام تنجلى فى قصائده « المكتمة » أو قل الموءودة ، وهو لا شك محاسب بين يدى الله « إذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت » ، وإن هـذه الشاعرية لتتجلى أيضاً فى آثار قلمه فى الوصف والإفصاح عن إحساسه بالمرئيات ، فأنت إذ تقرأ هذه الرحلات ، فستجد فيها دقة الباحث ، وحكمة العالم ، وظرف الأديب ، وخيال الشاعر وعاطفته . وأى شعر أبلغ من قول الدكتور ، وهو يجيل النظر فى أرجاء سيناء : « وأصبحنا نطل على بيداء ليس فيها إلا رمال تتخللها أعشاب وأشواك ، ولكنها سيناء ! ولله ماذا ضمنت سيناء من الخبر والعبر ! فيها الطور الذى آنس موسى من جانبه نور الهدى ، وعليها مدّ الزمان وجزر بالغير سعيدة وشتية ، والجيوش هازمة ومهزومة ، فتمثل جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وآيبة ، أو جيوش بابل وفارس مطرودة وطاردة ، ثم جيش الاسكندر وجيوش الرومان ، ثم جيوش العرب والترك دول بعد دول ، وسطور تمحو فى صحائف الزمان سطوراً ، كما خط فى القرطاس سطر على سطر ، تزاحمت الذكريات ، وترادفت العظات »

بل أى شعر أفصح من قول الدكتور على قبر صلاح الدين الخالد : « ثم رقينا درجات قليلة إلى باب آخر ؛ فيالك حجرة جمعت من العظمة سورة متلوة على الدهور ، وحوت من عبر التاريخ ما تضيق به السطور ! يالك حجرة كعنوان الكتاب الكبير يتقحمه النظر فى لحظة ، ثم لا يزال ينفتح على الصفحة بعد الصفحة ! يالك من مكان وسع ملء الزمان ! ويا لك من أحجار طويت على أعصار ! مجد رجف به الشرق والغرب ، وطأطأ له الصديق والعدو . هذا مرقد « صلاح الدين » ، أطفنا بالقبر ووقفنا هنيهة خاشعين ، ووقعت أبصارنا على صورة تمثل المجاهد العظيم ؛ ثم قال أحدنا : أين التاج الذى وضعه على القبر ملك الألمان غليوم ؟ قال دليلنا : أخذه الإنكليز ! قلت : إن مجد « صلاح الدين » أعظم من أن يزيده غليوم وأجل من أن ينقصه الإنجليز ، فليعطوا أو فليأخذوا ، وليمدحوا أو يذموا ، فذلك صرح لا تناله أيديهم ، ومجد قصرت عنه أمانيهم ، وحلبة التاريخ تشهد من كان الفارس الأمجد ! »

فهذا هو إفصاح الشاعر وخياله وإحساسه . . . وهذا هو الأسلوب الذى صور به الدكتور الفاضل كل المشاهد التى رآها والآثار التى وقف بها فى حلب ودمشق وبغداد وبلاد الفرس وموطن الأتراك ، ثم فى الحجاز مشرق النور المحمدى ، وفى أوربا حيث السفوح كلها البهاء والرواء والشعر ، فجاءت هذه الرحلات سورة قوية من عقل الرجل وقلبه ؛ فهى فوق ما فيها من علم وتعريف آيات بينات من الأدب الوصفى الرائع ، وقطع من الشعر المرسل تفيض بالعواطف والأحاسيس ، وتملأ نفس القارئ بالعظات والعبر ، والحكمة والبهجة . وبهذا المعنى ستظل رحلات عزام خالدة خلود العواطف الإنسانية ، باقية بقاء الإحساس القوى فى نفس الكبير

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

هذا كتاب يأخذ موضوعه من التاريخ والعلم والأدب والشعر والحب والبغض والخير والشر ، فهو كما يقول المؤلف الفاضل «تاريخ يفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨، ويشرح جوانب من أسرار المجتمع، وسرائر القلوب»

ولا شك أن قراء الرسالة الكرام يعرفون بعض الشيء عن كتاب ليلى المريضة في العراق ، نعم بعض الشيء فإن الدكتور الفاضل قد نشر صدراً منه في الرسالة ، ثم أمسك على بقية الحديث ، وطوى جوانحه على ما بقي من الشؤون والشجون ،

ولقد يبدو هذا الكتاب هيناً في تقدير بعض الناس ، على حين تجد بعضهم يمجده حتى ليرتفع به عالياً عالياً ... إلى السماء ، ولا غرو في ذلك ، فقديماً كان كتاب «كليلة ودمنة» لمن يقف عند الظواهر ملهاة وتسلية ، وللعالم موعظة وحكمة ، وللأديب جمال وجلال . وكذلك كتاب صديقنا الدكتور ، فهو في ظاهره شيء ، وهو في دلالته ومغزاه أشياء ... ثم هو في التقدير الصحيح صورة لما في الإنسان من عواطف الخير والشر ، وما يصطرع في عالم الناس ودنيا الأدباء من الحلم والجهل ، والرشد والغي ، والهدى والضلال

إنها آفاق من المعاني يتحاماها كتاب العصر الحديث ، ولقد أراد الدكتور زكي مبارك أن يكفر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق في ارتياد تلك المجاهيل ، يقول الدكتور : « ولقد اقتحمت تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أني أعرض سمعي للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليشرح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول

إقتحمت تلك المهالك وليس لي إلا سناد واحد هو الشعور بأني أؤدي خدمة للأدب والطب ! ! وهل كنت أملك الفرار من الصنع الذي صنعت »

وصدقني أيها القارئ أن الدكتور ما كان يملك هذا الفرار ولو استطاع ذلك لنكص على عقبيه وكان بذلك من القاعدين الناعمين ، ولكنه رجل ابتلاه الله بالصراحة والصدق ، فهو لا يدين

بمذهب «التقية» في شيء، ولو استطاع زكي مبارك — كما يقول أستاذنا الزيات — أن يتملق الظروف ، ويصانع السلطان ، ويحذق شيئاً من فن الحياة في المواربة والمداورة ، لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع ، وجفاوة الصراحة

ولكن أيفلت مني الدكتور فلا أمسكه بشيء ؟ كلا ! فأنا أحب أن أسأله عن ذلك التكرار ، وتلك الكركرة «الطهوية» إذ يقول : من الذي يستطيع أن يتعقب حركات العقول والأهواء في القاهرة ؟ من الذي يستطيع أن يحاور في الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية ؟ من الذي يتسع وقته لمسامرة الصحفيين القاهريين بعد نصف الليل ؟ من الذي يستطيع أن يسجل حركات القاهريين قبل الشروق؟ من الذي يفهم أن أهل القاهرة يموتون قبل الأوان بسبب الإفراط في الكدح والكفاح؟ من الذي يصدق أن من أهل القاهرة من يملأ الدنيا بالنشاط والحركة وفي جوفه خمسون علة ؟ من الذي يصدق أن في القاهرة ألف خطيب في فصاحة سحبان، من الذي يصدق أن الأمان ذهب من القاهرة بسبب الإفراط في المنافسة والنضال؟ من الذي يصدق أن زكي مبارك سيؤلف كتاباً في مثالب زكي مبارك ؟

أما أنا يا دكتور فذوق لا يحتمل كل هـذه «المنمنة» ، وأنا أسألك ولا أريد الجواب ، فإني أعلم أن أزمة الورق سترد إلى ما كنت عليه من الإيجاز في التعبير ، والقصد في البيان !

م . ف . ع

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }